(بسم الله الرحمن الرحيم)

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

٦١٧
٨٠

المبرد بلاغيا

إعداد

ياسر محمد عطا عمار

إشراف

الأستاذ الدكتور

"محمد بركات" أبو علي

عميد كلية الدراسات العليا

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية

شباط ١٩٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٤/٢/٧ واجيزت.

اعضاء اللجنة :		التوقيع
١-	الأستاذ الدكتور "محمد بركات" ابو علي	المشرف/ رئيسا .....
٢-	الدكتور عبد الكريم الحياري	عضوا .....
٣-	الدكتور محمد علي ابو حمدة	عضوا .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى جميع من يسرهم نجاحي وتقدمي

والدي .....

والدتي ....

إخوتي .....

اخواتي ....

زوجتي ....

اهلي جميعاً ....

اقدم لهم جميعاً هذا العمل والجهد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

قال تعالى "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه"، ولهذا اتقدم بجزيل الشكر إلى استاذي الفاضل الدكتور محمد بركات ابو علي لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وجهده ونصائحه، كما اتقدم بالشكر للجنة المناقشة الدكتور عبدالكريم الحياري، والدكتور محمد علي ابو حمدة على جهدهما في القراءة وإبداء الملاحظات التي استفدت منها.

شكراً خاصاً، قال تعالى "ان اشكر لي ولوالديك" فإنني اشكر والدي الجليل ووالدتي الجليلة وإخوتي واخواتي لما بذلوه من جهد في سبيل إيصالي إلى هذه المكانة، واشكر ايضاً زوجتي الفاضلة لما قدمته من جهد ومشقة اثناء الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
- قرار نتيجة المناقشة	ب
- إهداء.	ج
- شكر وتقدير.	د
- فهرس المحتويات	ه
- ملخص الدراسة باللغة العربية	ل
الفصل الأول	
الإطار البلاغي عند المبرد	١
- مقدمة	٢
- تمهيد.	٥
أبو العباس المبرد	٦
المبرد والبلاغة	٧
منهج المبرد في دراسة البلاغة	٨
المصطلح البلاغي عند المبرد	٩
فن الاختيار	٩
١- القرآن الكريم	١٠
٢- الحديث الشريف	١٠
٣- الأمثال	١٠
٤- الرسائل	١٠
٥- الوصايا	١١
٦- الخطب	١١
٧- كلام الحكماء	١١
٨- شعر القدماء	١١
٩- شعر المحدثين	١١
١٠- الأرجاز	١١
المبرد والشعر المحدث	١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
مفهوم البلاغة	١٤
مفهوم الفصاحة	١٧
الألفاظ والمعاني	١٩
عيوب الكلام	٢١
- العيب في الكلام	٢١
١- فراتية العراق	٢٢
٢- كشكشة تميم	٢٢
٣- كسكسة بكر	٢٣
٤- غمغمة قضاعة	٢٣
٥- طمطمانيّة حمير	٢٣
٦- اللكنة	٢٤
٧- الغنة والخنّة	٢٥
٨- التمتمة والفأفأة	٢٥
٩- العقلة	٢٥
١٠- الحبسة	٢٦
١١- اللفف	٢٦
١٢- الرّتّة	٢٦
١٣- اللّثغة	٢٧
١٤- الصفير	٢٨
النظم على نسق	٢٩
الإطناب والاختصار	٣٠
الإطناب	٣١
الاختصار	٣١
الأمثال	٣٣
التوقيعات	٣٥
التكلف في الكلام	٣٦
الوضوح والتعقيد في الكلام	٣٧
بلاغة القرآن والحديث	٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
- الفصل الثاني	
بلاغة المبرد	٤٣
(أ) المفردات البلاغية	٤٤
(١) التشبيه	٤٥
طريقة المبرد في دراسة التشبيه	٤٦
التشبيه والمعنى	٤٦
حد التشبيه	٤٧
- اختصار التشبيه	٤٩
- أضرب التشبيه	٤٩
١- التشبيه المفرط	٥٠
أ) التشبيه المفرط المتجاوز	٥٠
ب) التشبيه العجيب المفرط	٥١
٢- التشبيه المصيب	٥١
٣- التشبيه المقارب	٥٢
أ) التشبيه المقارب جداً	٥٢
ب) التشبيه الحلو المقارب	٥٢
٤- التشبيه البعيد	٥٣
٥- التشبيه الحسن	٥٣
أ) التشبيه الحسن جداً	٥٤
ب) التسبيه الحسن الجامع	٥٤
ج) التشبيه الحسن المليح	٥٥
د) التشبيه الحسن المستطرف	٥٥
هـ) التشبيه المستحسن	٥٥
٦- التشبيه الجيد	٥٥
أ) التشبيه المتجاوز الجيد	٥٦
٧- التشبيه العجيب	٥٦
أ) أعجب التشبيه	٥٦
٨- التشبيه المليح	٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
٩- التشبيه الجامع	٥٧
١٠- التشبيه المحمود	٥٧
١١- التشبيه المستطرف	٥٨
١٢- التشبيه القاصد الصحيح	٥٨
١٣- التشبيه المعكوس	٥٩
تشبيهات عربية	٦٠
تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين	٦٣
تشبيه الحاضر بالغائب	٦٣
٢- الكناية	٦٥
انواع الكناية	٦٥
أ) الكناية اللغوية	٦٥
١- التّعمية والتغطية	٦٥
٢- الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه من غيره	٦٦
٣- التفخيم والتعظيم	٦٧
ب) الكناية الاصطلاحية	٦٨
١- كناية عن صفة	٦٨
٢- كناية عن موصوف	٦٩
٣- كناية عن نسبة	٦٩
- من ألفاظ الكناية	٧٠
- الكناية والفقهاء	٧٢
٣- الاستعارة	٧٣
١- الاستعارة التبعية	٧٤
٢- الفاعل على وجه الاستعارة	٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
٣- الاستعارة التهكمية	٧٦
٤- الاستعارة والمثل	٧٦
٤- المجاز	٧٧
نماذج المجاز	٧٨
أ) الاتساع	٨٠
ب) علاقة المجاز ما يؤول إليه	٨١
ج) تسمية الشيء باسم آلته	٨١
د) المجاز المركب	٨٢
هـ) المبالغة في الصفة	٨٢
٥- الالتفات	٨٣
٦- الاستعانة	٨٥
٧- القلب البلاغي	٨٦
٨- الزيادة الحسنة	٨٧
٩- التغليب	٨٨
١٠- التتميم (التقديم والتأخير)	٨٩
١١- السّجع	٩٠
١٢- التجريد	٩٠
١٣- اللف والنشر	٩١
١٤- التقسيم	٩٣
١٥- مراعاة النظير	٩٣
١٦- تجاهل العارف	٩٤
١٧- المطابقة	٩٥
١٨- الخبر	٩٦
(ب) الالتفاتات البلاغية في القضايا النحوية	٩٧
١- المشاكلة	٩٨
٢- خروج الاستفهام عن وضعه	٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
أ) التقرير	٩٩
ب) التوبيخ	١٠٠
ج) التوبيخ والتقرير	١٠١
د) التاكيد	١٠١
٣- الفصل والوصل	١٠٢
٤- تقدم الحال	١٠٣
٥- الدعاء يجري مجرى الأمر	١٠٤
٦- الخبر بمعنى الدعاء	١٠٤
٧- الأمر يراد به الوعيد والتهديد	١٠٤
٨- التمني كلون بلاغي	١٠٥
٩- لو الشرطية	١٠٥
١٠- القصر	١٠٦
١١- التمثيل	١٠٦
١٢- الفرق بين إن وإذا	١٠٧
١٣- إقامة الصفة مكان الاسم	١٠٧
١٤- زيادة الحروف للتاكيد	١٠٨
١٥- الحذف	١٠٩
أ) الحذف للإيجاز	١٠٩
١- حذف التوكيد	١٠٩
٢- حذف الحروف	١١٠
ب) الحذف في التكرير	١١٠
ج) الحذف للاستغناء	١١٠
د) الحذف للاستخفاف وكثرة الاستعمال	١١١
هـ) الحذف للتخفيف	١١٢
أهمية علم المخاطب في الحذف	١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	رقم الصفحة
- الفصل الثالث	
المبرد بين أقرانه.	١١٤
أ) اثر الجاحظ في مفهوم	
البلاغة عند المبرد.	١١٦
١) الفصاحة	١١٨
٢) عيوب الكلام	١١٨
٣) البلاغة	١١٩
٤) الألفاظ والمعاني	١١٩
٥) الاختصار والإطناب	١١٩
ب) المبرد وابن قتيبة	١٢١
١) الحداثة والمحدثين	١٢١
٢) عيوب الكلام	١٢٢
٣) الفصاحة	١٢٢
٤) اللفظ والمعنى	١٢٢
٥) المجاز	١٢٣
٦) الاختصار والإطناب	١٢٤
٧) خروج الكلام عن وضعه	١٢٤
ج) المبرد وثعلب	١٢٦
١) الحداثة والمحدثين	١٢٦
٢) عيوب الكلام	١٢٦
٣) الفصاحة	١٢٧
٤) البلاغة	١٢٧
٥) الاستعارة	١٢٧
٦) لطافة المعنى	١٢٨
- الخاتمة	١٢٩
- المصادر والمراجع	١٣٠
- ملخص الرسالة بالإنجليزية	١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

المبرد بلاغيا

إعداد الطالب: ياسر محمد عطا عمار

إشراف: الأستاذ الدكتور "محمد بركات" أبو علي

يعد المبرد من الناحية التاريخية من أوائل العلماء الذين تعرضوا للقضايا البلاغية بالشرح والتاصيل. وساهم بشكل واضح في تثبيت أركان البلاغة والتمهيد لمن جاء بعده من العلماء.

وقد حرص المبرد على توضيح المفاهيم البلاغية حرصاً كبيراً واستخدم جميع فنون القول المعروفة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال القدماء والمحدثين الشعرية والنثرية للتدليل على ما يرمي إليه من وجوه البيان دون تقيد بما وضعه علماء الاحتجاج حول الشعر.

لم يفرد المبرد باباً خاصاً لدراسة المباحث البلاغية بشكل مستقل إلا ما كان في باب التشبيه ورسالة البلاغة، وكان حديثه حول البلاغة يأتي من خلال الشرح والتعليق على الشواهد وبيان ما فيها من وجوه بلاغية.

وقد تحدث المبرد عن العديد من القضايا البلاغية دون ذكر اسم المصطلح مكتفياً بالإشارة والشرح، وأحياناً كان يسمي المفردة البلاغية بغير ما توافق عليه علماء البيان اللاحقون.

وقد ظهر بوضوح أثر الثقافة السابقة في التعامل مع القضايا البلاغية، فالمبرد النحوي يختلف في أسلوب طرحه ومعالجته للقضايا النحوية عن الجاحظ الذي استخدم كتاباته لخدمة آرائه الفكرية، وكذلك اختلف المبرد كثيراً عن أسلوب ابن قتيبة الذي ركز على التفاصيل والفروع وذلك للرد على الجاحدين والمنكرين. وكذلك نرى اختلافاً بيّناً بين المبرد وأبي العباس ثعلب الذي كان لثقافته النحوية اللغوية أثر في اتجاهه الأدبي.

وقد احتكم المبرد كثيراً إلى ذوقه الفني في الحكم على الشواهد وبيان مستواها الفني، فكثر بشكل ملحوظ استخدامه لأسلوب التفضيل مثل أجمل وأبلغ وأعجب، دون أن يعلل ذلك منطقياً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإطار البلاغي

عند المبرد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، معلّم البيان، ومنزل القرآن الكريم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابلغ الخلق اجمعين، وعلى آله وصحابته الكرام، والسائرين على دربه إلى يوم الدين.

قدّر الله تعالى لي ان اختار هذا الموضوع (المبرد بلاغيا) بعد طول بحث وتنقيب استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، ويرجع الفضل في اختيار الموضوع إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد بركات أبو علي حفظه الله تعالى، وقد شرح الله عز وجل صدري للموضوع لما للدرس البلاغي من أثر في صقل النفس وتهذيبها.

بدأت بجمع أطراف الموضوع من بطون الكتب المختلفة حتى وضحت صورة البحث أمام ناظري، فأبو العباس المبرد شخصية لها حضورها في تراثنا اللغوي، وقد عكف الباحثون على تحقيق ما وصلنا من كتبه ورسائله، وإخراجها ونشرها، كما دُرس المبرد اكثر من دراسة علمية جادة ركّزت على جوانب متعددة من تراثه الفكري، لعل من اشهرها دراسة الباحث أبي الحسن عبدالله الخطيب، وهي بعنوان (المبرد ودراسة كتابه الكامل)، كما ان المحققين لكتبه عقدوا في مقدمة كتبهم دراسة عن حياة المبرد وآثاره.

غير ان البلاغة عند المبرد لم تحظ بدرس مستقل واسع، فكانت هذه الدراسة البلاغية لجمع ما تناثر في بطون الكتب من مسائله البلاغية وترتيبها وتصنيفها.

وكان منهجي في الدراسة يقوم على عدم تكرار ما ورد في كتب الآخرين حول حياة المبرد، وعلمه وشيوخه، وتلاميذه، وكتبه مما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصل إلينا ومما سمعنا عنه ، واكتفيت بالتعريف المختصر به ، واحلت القارىء إلى تلك الدراسات. وكذلك عند عقد المقارنة بين المبرد واقرانه لم أكثر من النقل عنهم ، مكتفيا بالإشارة إلى مواضع ذلك في كتبهم .

وقد مهدت للبحث بالكلام حول نشاة البلاغة وتدرجها ، وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول ، عمدت في الفصل الأول إلى توضيح علاقة المبرد بالبلاغة ، وكيفية تعامله مع المصطلح البلاغي ، وبيّنت منهج المبرد في دراسة البلاغة ، وطريقته في التعامل معها .

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن المصطلحات البلاغية عند المبرد ، وجعلته في قسمين ، خصصت القسم الأول للمفردات البلاغية التي أوردها ، والقسم الثاني للالتفاتات البلاغية في القضايا النحوية ، وأوردت في كل ذلك الشواهد الممثلة دون الإكثار الممل ، مع الإشارة إلى المواضع الأخرى .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن موقع المبرد بين عدد من معاصريه ، فوضحت في البداية أثر الجاحظ في بلاغته ، ومدى اخذه وتشربه لآراء استاذه ، كما أجريت مقارنة بينه وبين ابن قتيبة ، وبيّنت مدى التوافق والاختلاف بينهما ، كما قمت بعمل مماثل في دراسة العلاقة بين المبرد وقرينه ثعلب. وفي هذا الفصل لم أعمل على استقصاء الأمثلة ، وإنما ذكرت من الأمثلة ما يوضح العلاقة ويبين ابعادها .

وبعد ...

فإنني حاولت في هذه الدراسة أن أوضح جهد علم من اعلام البلاغة في ايامها الأولى ممن ساهموا في زرع بذور الدراسات البلاغية ، فإن كنت وفقت فذلك من الله ، وهو الأمل ، ولله الفضل والمنة ، وإن كنت وقعت دون ذلك فحسبي أنني اجتهدت وحسبي الله ونعم الوكيل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحق علي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل الدكتور محمد بركات أبو علي الذي تحمّل مني الكثير، وقدّم لي الكثير من التشجيع والنصح والإرشاد، والله أسأل أن يثنسا في اشره، وأن يبقيه لطلاب العلم هادياً ومرشداً، كما اشكر اللجنة المناقشة لما بذلته من جهد في القراءة، وإبداء الملاحظات التي استفدت منها. وشكري لا ينقطع - إن شاء الله تعالى - إلى أساتذتي بقسم اللغة العربية وآدابها وهذه الجامعة ذات الفضل علينا.

والله الموفق والحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

بلغ العرب في جاهليتهم مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، صوّرها القرآن الكريم في اكثر من موضع. وقد تحدّى الله تعالى المشركين من العرب، ودعاهم إلى معارضة القرآن الكريم في بلاغته الباهرة. وهذه الدعوة تدل على قدراتهم البلاغية، ولكنهم عجزوا أمام القرآن الكريم عجزاً تاماً، لعلمهم باساليب الكلام وطرق اختيار الألفاظ.

وفي صدر الاسلام ازدهرت الخطابة لكثرة دواعيها الدينية والسياسية، واصبح الخطباء يعتنون بخطبهم عناية فائقة، ويختارون الألفاظ المناسبة، وبرزت فئة الكتاب، فزادت العناية بالأساليب البلاغية، وكان للمنافسة اثر كبير في الابتكار والإبداع.

وكان لظهور المتكلمين من أصحاب الفرق أثر كبير في تطور البلاغة، والّف المتكلمون الكثير من الكتب حول إعجاز القرآن الكريم. كما اثر المفسرون والفقهاء على تطور البلاغة، فقد اعتمد الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية على اساليب القرآن البيانية، وعلى معاني الألفاظ ودلالتها، كما اتّخذ المفسرون من البلاغة وسيلة لفهم معاني القرآن الكريم وما فيها من إعجاز في اللفظ والمعنى والأسلوب.

كما شارك في بناء البلاغة العربية اللغويون والنحاة والرواة بدراساتهم حول الألفاظ ودلالتها، وباللغة وقواعد بيانها، وتحدثوا عن استعمالات الكلمات المختلفة.(١)

ومن خلال كل هذه الجهود برز علم البلاغة بشكله الحالي المعروف، وهدف هذه الدراسة هو التعرف على علم من اعلام النحاة، وتوضيح مدى مساهمته في رفع بناء البلاغة، وهو ابو العباس محمد بن يزيد المبرد.

---

(١) يرجع إلى كتاب شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، الفصل الأول، ص٩ - ٦١، لمزيد من التفاصيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو العباس المبرد

هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي المعروف بالمبرد، ولقد انتهى إليه علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني(١). ولد في سنة عشر ومائتين في البصرة، ومات في بغداد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين.(٢)

"كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم، وطزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة القريحة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق؛ على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تاخر عنه".(٣)

كان أبو العباس يمتاز بقدرة فائقة على التخلص من المآزق اللغوية التي يوقعه فيها خصومه، وفي قصته مع المتوكل والفتح ابن خاقان المشهورة دليل على ذلك(٤).ولقد وصل الأمر بخصومه إلى درجة اتهامه بصنع الشواهد، ولكن العلماء وثقوه، وردوا التهمة عنه.(٥)

---

(١) السيرافي: أخبار النحاة البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ص١٠٥، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، ١٩٨٥م.

(٢) القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث، ص٢٤٦: ٢٤٦/٣، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥ م. وسارجع إليه باسم القفطي.

(٣) القفطي، ٢٤٢/٣ .

(٤) القفطي، ٢٤٣/٣ .

(٥) ابن حجر: لسان الميزان، ٤٣١/٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتهر المبرد بكونه احد اعمدة المذهب البصري، فقد تتلمذ على كبار علماء عصره، وألّف العديد من الكتب النحوية المشهورة وقد وصل منها عدد قليل عكف العلماء على تحقيقها، ويعد كتابه المقتضب(١) افضل ما وصل إلينا بعد كتاب سيبويه. ولم يقتصر اهتمام المبرد على النحو، بل تطرق إلى الأدب، وألّف الكتب القيّمة، خاصة كتاب الكامل(٢) الذي لقي عناية واهتماماً من العديد من أهل عصره إلى يومنا الحاضر.(٣)

المبرد والبلاغة

كان للمبرد دور كبير في التأصيل للبلاغة والعمل على نشرها، فقد خصص لها مواقع مختلفة في كتاباته. وقد اختلف حجم الإشارة للبلاغة من مكان إلى آخر، فمن ناحية يوجد للمبرد رسالة صغيرة سماها البلاغة(٤)، ومن ناحية اخرى خصص المبرد ابواباً مستقلة لبعض المصطلحات البلاغية مثل باب التشبيه في كتابه الكامل، وفصل الفصاحة في كتابه الفاضل(٥). وكذلك وردت ملاحظات بلاغية كثيرة في ثنايا كتبه المختلفة، وكانت هذه

---

(١) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣، د. ط. وسارجع إليه باسم المقتضب.

(٢) تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م. وسارجع إليه باسم الكامل.

(٣) وللمزيد من اخبار المبرد، انظر مقدمة تحقيق كتب المبرد، خاصة المقتضب والبلاغة.

(٤) تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م. وسارجع إليها باسم البلاغة.

(٥) تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٥٦م. وسارجع إليه باسم الفاضل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحظات تأتي خلال شرح النصوص الشعرية والنثرية، فيشير المبرد إلى ما في النص من أساليب بلاغية مختلفة.

ويجدر بنا منذ البداية أن نشير إلى أن رسالة البلاغة للمبرد، عدّها بعضهم أول ما وصل إلينا تحت هذا العنوان "فالمبرد أول من أطلق اسم البلاغة على رسائله"(١)، وإن لم يقصد بها العلم المعروف عندنا الآن.

منهج المبرد
في دراسة البلاغة

لم يعتمد المبرد منهجاً موحداً في دراسة البلاغة، والكتابة حولها، ففي رسالة البلاغة كان منهجه واضحاً. وإجاباته منظمة ومخططة لما ساله عنه احمد بن الواثق. أما في بقية كتبه فقد جاء حديثه عن البلاغة ضمن إطارين هما الإطار الأدبي والإطار النحوي اللغوي، ففي الإطار الأول نرى المبرد قد نظر إلى بعض المسائل من منظور نحوي لغوي خالص تغلب عليه النزعة الشكلية، بينما يتناول الآخر من زاوية ادبية اعتمدت استقراء النماذج الأدبية من شعر ونثر وإصدار الأحكام عليها. ولهذا جاءت المواضيع البلاغية عنده متفرقة بين ثنايا الكتب.

وكذلك فإن المبرد قد عالج بعض القضايا البلاغية باستفاضة مثل التشبيه والكناية وبعض القضايا الأخرى مر عليها مسرعاً دون توقف، وإعطاء القضية ما تستحق - بنظرنا - وهذا المنهج غير المتسق نلاحظه بقوة عند النظر في مؤلفاته العديدة. وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن المبرد يريد أن يعطي صورة واقعية للأدب العربي، فالتشبيه مثلاً قد احتل مساحة واسعة عند المبرد لكثرته في كلام العرب ويقول المبرد عنه "هو اكثر كلامهم".(٢)

---

(١) احمد مطلوب: مصطلحات بلاغية، ص٤٤، المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

(٢) الكامل: ٩٩٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح البلاغي عند المبرد

ورد في كتب المبرد العديد من المصطلحات البلاغية، غير أن المبرد لم يكن يحرص على ذكر المصطلح كثيراً، ففي مواضع عديدة كان يكتفي بالتمثيل والشرح دون ذكر المصطلح، وفي بعض الأحيان كان يشرح المصطلح الذي يورده، ويمثل له الأمثلة. وفي احيان اخرى كان يذكر المصطلح دون تفسير.

ويلاحظ أن المبرد قد انتهج طريقةً مختلفةً في معالجته لباب التشبيه، فأكثر من ذكر المصطلحات دون أن يورد لها تفسيراً، أو يبين ما يميزها عن غيرها، ويبدو أن الذوق الأدبي كان يقف خلف هذه الأسماء والمصطلحات التي اطلقها المبرد على التشبيه.

وقضية أخرى في ذكر المصطلحات، فالمبرد لم يقصد إلى وضع قواعد واصول للبلاغة حتى يركز على ذكر المصطلحات وما فيها من دلالات. وقد رأينا كيف بحث المبرد بعض الجزئيات اللغوية في كتب منفصلة، وشرحها شرحاً وافياً، كما فعل في كتابه "المذكر والمؤنث".(١)

٤٣٣٦٩٠

وقد اشرت في خلال البحث إلى ما ذكره المبرد دون أن يسمي المصطلح، أو سماه بغير ما سماه به البلاغيون المتاخرون.

فن الاختيار

اظهر المبرد روحاً علمية في اختياره للشواهد على القضايا البلاغية التي تطرق إليها، فلم يقتصر على نوع واحد من

---

(١) المبرد: المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م. وسارجع إليه باسم المذكر والمؤنث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشواهد ؛ بل تنوعت الشواهد عنده تنوعاً شمل فنون القول المعروفة إلى حد بعيد. ومن خلال الاستعراض القادم لأنواع الشواهد يمكننا القول إن الرائد الذي يقود المبرد في اختياره للشواهد هو الغرض المتوخى منه، فما دام الشاهد يؤدي الغرض ويفي بالقصد فالمبرد يقدمه دون النظر إلى نوعه. وبالنظر لما كتبه المبرد وجدنا أن أنواع الشواهد هي(١):

١- القرآن الكريم

مثل قوله تعالى "حتى إذا كنتم في الفلك، وجرين بهم بريح طيبة"(٢)، وقوله تعالى "واسأل القرية".(٣)

٢- الحديث الشريف

مثل قوله عليه السلام للأنصار (رضي الله عنهم) "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع".(٤)

٣- الأمثال

مثل قوله "مرعىً ولا كالسعدان".(٥)

٤- الرسائل

مثل رسالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) في القضاء.(٦)

---

(١) محمد بركات أبو علي: فصول في البلاغة، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، قسم الشواهد بطريقته الخاصة، ص١٠٣ - ١٠٤. وسأرجع له باسم أبي علي.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٢، ورمزها يونس ٢٢/١٠؛ الكامل ٥٧٢/٢.

(٣) يوسف: ٨٢/١٢ ؛ الكامل ٣٦٨/١. وأمثلة أخرى في الكامل منها على سبيل التمثيل لا الحصر ١٦٦/١، ٢٨٣، ١٤٧، ٦٥٧/٢.

(٤) الكامل ٢/١، وانظر أيضاً الكامل ٥/١، ١٣، ٣٩٤، وهذا على سبيل التمثيل.

(٥) الكامل ١٣/١، وانظر أيضاً الكامل ١٤/١، ٢٨٥، ٥٨/٢ وغيرها.

(٦) الكامل ١٩/١. وانظر أيضاً الكامل ٢٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- الوصايا

مثل وصية ابي بكر رضي الله عنه عند موته.(١)

٦- الخطب

مثل خطبة ابي بكر حين ولي الخلافة.(٢)

٧- كلام الحكماء

مثل قول الأحنف بن قيس.(٣)

٨- شعر القدماء

مثل النابغة(٤)، وامرىء القيس(٥)، وعنترة.(٦)

٩- شعر المحدثين

مثل مسلم بن الوليد(٧)، وابي العتاهية(٨)، وبشار.(٩)

١٠- الأرجاز

واورد ارجازاً للعجّاج(١٠) ورؤبة(١١)، وحماس بن قيس(١٢).

ولم ينتهج المبرد طريقة واحدة في تقديم الشواهد والتعليق عليها، فبعض الشواهد كان يشبعها بحثاً وتفصيلاً، وفي شواهد اخرى كان يعلق بكلمة واحدة. واحياناً يورد الشاهد من غير

---

(١) المبرد: التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ط. ١٩٦٧م. ص١١٦ . وانظر ايضاً التعازي المراثي، ص١١٧ ، والكامل ٢٧٣/١ .

(٢) الكامل: ١٧/١-١٨ ، وانظر ايضاً ٢٩/١ ، ٢٠٥ .

(٣) الكامل: ١٦٥/١ ، ١٦٧ ، ١٩٦ ، ٣٠٧ .

(٤) الكامل: ٥٥٧/٢ ، ٥٩٠ ، ٩٢٣ ، ١٠٣٣/٣ ، ١٢٢٩ .

(٥) الكامل: ٩٠/١ ، ١١١ ، ٣٢٥ ، ٦٠١/٢ ، ٦٧٧ .

(٦) الكامل: ١٤٤١/٣ ، ١٤١٤ .

(٧) التعازي والمراثي، ص١٥٢ ، الكامل ٨٩٤/٢ ، ٩٤٣ .

(٨) التعازي المراثي: ص١٥٦ ، ١٥٧ ، الكامل ٤٢٠/١ .

(٩) الكامل: ١٢/٢ ، ١٠٥٢ .

(١٠) الكامل: ١٩٧/١ ، ٧٢٣/٢ ، ١١٤٥/٣ .

(١١) الكامل: ٢٥٣/١ ، ٧٠٦/٢ ، ١٢٢٥/٣ .

(١٢) الكامل: ٧٦٧/٢ ، ٧٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسير. وقد يكون السبب في ذلك دعوة للقارىء - للمشاركة في النظر والبحث.(١)

والملفت للانتباه في شواهد المبرد أنها تتفاوت من شطر البيت إلى البيت والبيتين، وقد يصل الأمر إلى ذكر صورة شعرية كاملة.

والمبرد هنا قد اراد من ذلك إبراز القيمة البلاغية من خلال النص وليس مجتزأ مبتوراً.(٢)

المبرد والشعر المحدث

يمتاز عصر المبرد بالميل الشديد، بل والتعصب المقيت، إلى الشعر القديم والأدب القديم بشكل عام. وعصر الاحتجاج لا يمكن تجاوزه في الاستشهاد على المسائل والقواعد اللغوية والنحوية. ومن خلال دراسة كتب المبرد نرى أثر العصر واضحاً جداً في كل ما يقول حول المحدثين، فعلم النحو يشكل جانباً كبيراً من ثقافة المبرد، وكتابه المقتضب "أقدم ما وصل إلينا في النحو والصرف بعد كتاب سيبويه"(٣). ولهذا فقد كان المبرد "مغلوباً بروح العصر".(٤)

فقد أورد المبرد في بداية الكامل قولاً جميلاً انصف فيه المحدثين، وجعل الجودة هي المقياس على العمل الأدبي فقال(٥) "وليس لِقدم العهد يُفضّل القائل، ولا لحدثان عهدٍ يُهتضم

---

(١) أبو علي، ص١٠٤ - ١٠٧ ، حديث حول إيراد الشواهد وتفسيرها عند المبرد.

(٢) أبو علي، ص١٠٥ ، حديث حول قيمة البلاغة في النص الكامل عند المبرد.

(٣) المقتضب: ١/٥ من التحقيق.

(٤) إحسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط٥ ، ١٩٨٦ ، ص٩١ . وسارجع إليه باسم إحسان.

(٥) الكامل: ١/٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصيب، ولكن يعطى لكلٍ ما يستحق" غير ان هذا الموقف الصريح للمبرد لم يظهر بوضوح في ما كتبه في كتبه المختلفة.

ففي البداية يقول المبرد قبل إيراد شعر ابي علي البصير(١) "وقال ابو علي واسمه الفضل بن جعفر - وان لم يكن بحجّة، ولكنه اجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به" فكان المبرد شعر بشيء من الابتعاد عن المنهج، فبرر ذكره للشعر الحديث.

والف المبرد كتاباً خصصه لأشعار المحدثين هو كتاب الروضة (٢). كما عقد ابواباً وفصولاً للشعر الحديث في اكثر من كتاب، ففي كتاب التعازي والمراثي عقد باباً لأشعار المحدثين صدره بقوله (٣) "وقصدنا في وقتنا هذا لذكر اشعار المحدثين لننزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكلة الدهر وملاحة القول". وذكر فيه أشعاراً لمسلم بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، وابي العتاهية وغيرهم. وفي الكامل ايضاً عقد المبرد باباً كبيراً للشعر الحديث(٤)، جاء في اوله قوله (٥) "هذه اشعار اخترناها من اشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثيل - لأنها اشكل بالدهر - ويستعار من الفاظها في المخاطبات والخطب والكتب" واورد في هذا الباب لأكثر من عشرين شاعراً، مثل عبد الصمد ابن المعذل(٦)، وإسماعيل بن القاسم(٧)، ومحمود الورّاق(٨)، وصالح بن عبد القدوس(٩)، ودعبل الخزاعي(١٠)، وغيرهم.

---

(١) الكامل: ١٤/١ .

(٢) ما زال الكتاب مخطوطاً، ويوجد نسخة منه لدى عبد العزيز الميمني. ذكر ذلك عند تحقيقه لكتاب الفاضل.

(٣) التعازي والمراثي، ص١٥٢ .

(٤) الكامل: ٥١٢/٢ - ٥٥٤ . وانظر ايضاً الكامل ١٤٦١/٣ - ١٤٦٨

(٥) الكامل: ٥١٢/٢ .

(٦) الكامل: ٥١٢/٢ .

(٧) الكامل: ٥١٣/٢ .

(٨) الكامل: ٥١٣/٢ .

(٩) الكامل: ٥١٦/٢ .

(١٠) الكامل: ٥١٨/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن يمعن النظر في إشارات المبرد المختلفة حول المحدثين، وتخصيص اماكن محددة لاشعارهم، يرى بوضوح مدى تفريق المبرد بين القديم والحديث، فدائماً بعد ذكر حديث القدماء واشعارهم يأتي شعر المحدثين، فبعد القول في التشبيه يقول المبرد(١) "ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم".

ويلاحظ مما تقدم ان المبرد قد منح الشعر الحديث الكثير من عطفه، ولكن هذه الصلة لم تتجاوز مجال العطف(٢). فشعر المحدثين عنده لم يكن حجة، وذكره لشعرهم هو من باب الاعتراف بالجودة، والحاجة إليها في المخاطبات. اي ان المبرد لم يستغن عن شعر المحدثين وخطبهم، لأن خطب الجاهلية، ومحاوراتها لا تكفي لتخريج الطالب في الأدب.

مفهوم البلاغة

يعد المبرد أول من استعمل مصطلح البلاغة، وذلك في رسالة البلاغة التي كتبها. ومصطلح البلاغة في هذه الرسالة "لا يعني العلم المعروف، وإنما هو تحديد لبعض معانيها".(٣) وعدّها بعض الباحثين "أنها آراء في جودة الشعر وجودة النثر ومحاولة المقارنة بينهما"(٤)، وقال عنها آخر "إن مثل هذه الدراسة الموجزة أشبه بالنقد الأدبي منها بالبلاغة التي عنونت بها هذه الرسالة".(٥)

ومن خلال تعريف المبرد للبلاغة في هذه الرسالة، وهو

---

(١) الكامل: ٢/١٠٣٩ .

(٢) إحسان: ص٩٠ - ٩١ .

(٣) أحمد مطلوب: مصطلحات بلاغية، ص٤٤ .

(٤) حمادي صمّود: التفكير البلاغي عند العرب، ص٣٤٤، منشورات الجامعة التونسية، د.ط. ١٩٨١ .

(٥) بدوي طبانة: البيان العربي، ص١٠٧، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريف منظم مخطط يمكننا بواسطته إضافة للتعريفات العديدة التي وردت في كتبه الاخرى أن نأخذ صورة واضحة حول مفهوم البلاغة عند المبرد.

وسنستعرض هذه التعريفات، ونترسم الصورة التي أراد المبرد توصيلها للقراء. فهو يعرّف البلاغة بقوله (١) "حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة اختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول". وهذا التعريف هو تاليف بين مجموعة من التعريفات، قيل فيه (٢) "لم نقف قبله على تعريف يعادل تعريفه شمولاً". ونستطيع القول إن هذا التعريف قد شمل عدة محاور هي(٣):

١- المحور اللغوي، ويتمثل في ضرورة وجود علاقة قوية بين اللفظ والمعنى.

٢- محور الاختيار، ويتمثل في قدرة المتكلم على اختيار الكلمات المناسبة اكثر من غيرها.

٣- محور النظم، ويتمثل في ضرورة وجود التناسق بين العبارات، والكلمات.

٤- محور الاختصار، ويتمثل في حذف الزائد من الكلام، والاكتفاء بالحد الادنى المعبر عن الهدف.

وبعبارة اخرى يمكننا القول(٤) "إن المبرد يرى البلاغة في حسن النظم، والتئام الكلمات، مع شمول في المعنى، واختصار في اللفظ".

---

(١) البلاغة: ص٥٩ - ٦٠.

(٢) حمادي صمّود: ص٣٤٥.

(٣) حمادي صمود: ص٣٤٥ - ٣٤٦. فصل في مستويات هذا التعريف بطريقته الخاصة.

(٤) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٩٩، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د. ت، وسارجع إليه باسم عبد القادر حسين، اثر النحاة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تعريف آخر للبلاغة يقول المبرد(١) "قيل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع". وهذا التعريف الذي جاء في نهاية الكامل، قد يكون خلاصة لكل ما ذكره المبرد في هذا الكتاب وفي كتبه الأخرى حول البلاغة ودورها وشروطها، فالهدف النهائي من البلاغة عنده إيصال المعنى المطلوب دون لَبْس، وهذا يتطلب أن يكون الكلام على قدر المتلقي، فما يعد بليغاً عند قوم لا يعد بالضرورة بليغاً ومقبولاً عند آخرين، ولهذا فلا بد من حدوث الانسجام بين أطراف المعادلة البلاغية، وهم الملقي (المتفنن) والمتلقي والنص، حتى يؤدي النص وظيفته، ومهمته على أتم نسق، وهذا يتطلب أن ينظر إلى النص ضمن بيئته وظروفه لنتمكن من الحكم ببلاغته.

والمتتبع لإشارات المبرد في كتبه يلاحظ كثرة استعمال المبرد للفظ البلاغة ومشتقاتها للدلالة على جودة النص، ومن ذلك قوله(٢) "باب في مراثٍ بليغة وعظات موجزة وأبيات مستحسنة" ولا تخرج عن مفهوم البلاغة السابق.

ويرى المبرد البلاغة من الأمور المكتسبة ويستطيع المرء أن يصبح بليغاً، وهدف الكامل في المقام الأول هو الارتقاء بالقرّاء - خاصة ممن تسمو أنفسهم لبلوغ مراتب عليا من الكتّاب والخطباء ليصبحوا من عداد البلغاء. وأشار إلى ذلك صراحة في الكامل(٣) "لا تكون بليغاً حتى تكلّم أمتك السوداء في الليلة المظلمة في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك، فإنما اللسان عضو إذا مرنته مَرن، وإذا أهملته خار" فالتدريب المستمر يقود للبلاغة. وأكّد ذلك في أكثر من موضع مثل(٤) "إنّ اللسان إذا كثرت حركته رقّت عذوبته". فالرؤية عند المبرد واضحة لطريق البلوغ في البلاغة. وما على المرء إلا أن يسير في هذا الطريق الشاق ليصل إلى مراتب البلغاء.

---

(١) الكامل: ٣/١٥٠٢.
(٢) التعازي والمراثي: ص٥٩.
(٣) الكامل: ٢/٥٣٢ - ٥٣٣.
(٤) الكامل: ٢/٥٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهوم الفصاحة

تتعلق الفصاحة بالألفاظ، وإن كان القدماء لم يفرقوا كثيراً بين مصطلحي البلاغة والفصاحة. وقد استعمل المبرد مصطلح الفصاحة في مواضع كثيرة من كتبه، على الرغم من قول أحد الباحثين(١) "وليس فيما كتب المبرد إشارة إلى الفصاحة".

ويمكننا القول بعد النظر والدراسة، ومن خلال الأمثلة اللاحقة إن المبرد قد تجاوز الإشارة إلى مصطلح الفصاحة إلى تحديده في بعض المواقع بالألفاظ.

عقد المبرد في كتابه الفاضل فصلاً خاصاً للفصاحة (٢)، وتحدث فيه عن فصحاء العرب، وأي القبائل أفصح، وروى لنا أقوال العلماء في ذلك، منها على سبيل التمثيل(٣) "أفصح الناس أزد السّراة" وأيضاً (٤) "أفصح الناس سافلة قريش، وعالية تميم"، ويقف المبرد موقفاً متقدماً في فهمه للفصاحة وذلك بقوله (٥) "كل عربي لم تتغير لغته فصيح على لسان قومه".

ويفسر المبرد لنا سبب تفضيل بعض القبائل بالفصاحة على غيرها بقوله (٦) "وإنما يقال: بنو فلان أفصح من بني فلان، أي أشبه بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب" وكل هذا الفصل حديث عن الفصاحة والفصحاء وأخبارهم.

وفي الكامل يورد المبرد حديث معاوية حول الفصاحة والفصحاء، وفيها يبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الفصاحة ترتبط بالألفاظ بعلاقات كبيرة. (٧)

---

(١) أحمد مطلوب، مصطلحات بلاغية، ص١٧.

(٢) الفاضل: ص١١٣.

(٣) الفاضل: ص١١٣، القول للخليل بن أحمد.

(٤) الفاضل: ص١١٣، القول لأبي عمرو بن العلاء.

(٥) الفاضل: ص١١٣.

(٦) الفاضل: ص١١٣.

(٧) سوف نفصل الحديث عن ذلك في عيوب الكلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما استخدم المبرد لفظ الفصاحة في تعليقه على ابيات شعرية نلحظ من خلالها تداخل الفصاحة بالبلاغة في مواضع، واختلافهما في مواضع اخرى. وفي تعليق المبرد على قول الفرزدق(١):

منّا الذي اختير الرجال سماحةً

وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع

يقول(٢) "اي من الرجال فهذا الكلام الفصيح".

واوضح من الكلام السابق تعليقه على أبيات رجل من بني تميم.(٣)

البان إبل تعلّة بن مسافرٍ ما دام يمتلكها عليّ حرامُ

وطعام عِمران بن أوفى مثلُه ما دام يسلك في البطون طعام

إن الذين يسوءُ في أعناقهم زادٌ يُمنّ عليهمُ للشامُ

لتعن الإله تعلّة بن مسافرٍ لعناً يُثنّ عليه من قدامُ

يقول المبرد(٤) "وهذا كلام فصيح جداً"، ثم يعقد مقارنة بين هذه الأبيات وأبيات أخرى للقطامي صدرها بقوله(٥) "ويشبه هذا في الإتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي". ويتضح من هذا الكلام اختلاف الفصاحة عن المعنى، في إشارة واضحة للألفاظ.

ومن خلال الشواهد السابقة يتضح لنا مدى نضوج مفهوم الفصاحة عند المبرد.

---

(١) الفرزدق: ديوان الفرزدق ٤١٨/١، البيت الأول، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د. ط. ١٩٦٠. وسارجع إليه باسم الفرزدق.

(٢) الكامل: ٤٨/١.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين: ٣٠٦/٣، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، وسارجع إليه باسم البيان والتبيين.

(٤) الكامل: ٨٢/١.

(٥) الكامل: ٨٢/١ - ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفاظ والمعاني

وردت هذه القضية في مواضع مختلفة عند المبرد. وكانت معالجته لها تتم بصور عديدة يقتضيها واقع الحال. على اننا نستطيع تقسيم حديث المبرد حول الألفاظ والمعاني إلى قسمين:

الأول: حول العلاقة اللغوية بين اللفظ والمعنى.

الثاني: حول العلاقة الفنية الإبداعية.

ويمكننا القول إن تفسيره اللغوي لمعاني الألفاظ في الشواهد التي أوردها يدخل تحت القسم الأول. وذلك مبثوث في ثنايا كتبه. وقد صنّف المبرد كتاباً خاصاً حول العلاقة اللغوية بين اللفظ والمعنى خصصه لدراسة هذه الظاهرة في القرآن الكريم(١). كما جاء في موضع آخر كلام مباشر ومفصل حول علاقة اللفظ بالمعنى وذلك لقوله (٢) "ومن كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" ثم فصّل في الأمر وأكثر من الأمثلة بما لم يات المتاخرون بزيادة حوله.

ويعتبر كتاب المبرد (المذكر والمؤنث)(٣) مثالاً آخر حول العلاقة بين اللفظ والمعنى، وكيف تؤدي الحركة دوراً في تحديد المعنى من مذكر إلى مؤنث. وكان اسلوب المبرد في هذا الكتاب تعليمياً، ووضّح الفروق بين المذكر والمؤنث بشكل مفصل ومرتب.

وحول القسم الثاني من العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهو العلاقة الإبداعية، والتي شغلت البلاغيين كثيراً، فقد اشار المبرد اثناء اختياره للشواهد إلى موقفه من قضية اللفظ

---

(١) المبرد: ما اتفق لفظه واختلف معناه من الفاظ القرآن المجيد، تحقيق عبد العزيز الميمني، طبعة المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠هـ. وسارجع إليه باسم ما اتفق لفظه.

(٢) المقتضب: ٤٦/١.

(٣) المبرد: المذكر والمؤنث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى، وكان المبرد تطبيقياً في هذا الموضع، فلم يهتم بالإطار النظري بشكل ملحوظ(١). وكانت نظرة المبرد معتدلة، فلم ينكر اهمية احدهما على حساب الاخر، بل كان يوازي بينهما بدقة، "ويحرص على انسجام اللفظ مع المعنى حتى يؤدي النص وظيفته ومهمته"(٢). فاللفظ والمعنى ركنان متلازمان في العملية الفنية لا يمكن قيام احدهما دون قيام الاخر وإلا اختل العمل الأدبي في نظر المبرد(٣). وصوّر أحدهم ذلك بقوله(٤) "اللفظ والمعنى عنده - يقصد المبرد - يمثلان جوهراً مهما في الكلام وشروط فصاحته".

وقد تلازم ذكر اللفظ والمعنى عند المبرد بصورة لافتة للنظر، وبعبارات متعددة، تؤكد على ما ذهبنا إليه من اهتمامه باللفظ والمعنى معا. فقد جاء في مجال المدح(٥) "فهذا اوضح معنى، واعرب لفظ" وقوله(٦) "ومما يستحب لفظه ويستغرب معناه". كما تلازم ذكر اللفظ والمعنى في ذكر المساوىء، ومن أوضح ما جاء في ذلك قوله(٧) "ومن اقبح الضرورة، واهجن الألفاظ وأبعد المعاني". وهذا يؤكد لنا حرص المبرد على سلامة اللغة وسهولتها الفاظا ومعاني، "فالضرورات اللفظية والالتواء في المعاني واستعمال الكلمات الهجينة، فذلك مما ينكره ويمقته".(٨)

---

(١) كما حصل عند الجاحظ.

(٢) أبو الحسن عبدالله الخطيب: المبرد ودراسة كتابه الكامل، ص٤١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، د. ط، ١٩٧٩م. وسارجع إليه باسم الخطيب.

(٣) سنرى ذلك من خلال الأمثلة اللاحقة.

(٤) احمد عبدالسيد الصادي: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، ص٢٧-٢٨، منشاة المعارف، الإسكندرية، د. ط، ١٩٨٨. وسارجع إليه باسم الصادي.

(٥) الكامل: ٤٢/١.

(٦) الكامل: ٤٦/١-٤٧.

(٧) الكامل: ٤١/١.

(٨) إحسان، ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذا العرض نقول إن المبرد يريد في اللفظ أن يكون فصيحا يوفي المعنى حقه ، وأن يكون المعنى صائبا وقريباً ، فإذا توفر ذلك في العبارة حسن الكلام واستحق أن يوصف بالبلاغة . وإذا انهدم احد الركنين اثر على بلاغة الكلام فانقصها ، وقلل من حسنها وجمالها .

عيوب الكلام

حرص المبرد على كمال البلاغة عند المتفنن ، ولما كانت البلاغة لا تكتمل إلا بالتخلص من عيوب الكلام(١) ، فقد اشار إليها المبرد بشكل واضح جلي حتى يتخلص منها من تسمو نفسه لبلوغ المراتب العليا من الكتّاب والمتكلمين ، وعدّ ذلك من مقومات الفصاحة .

- العيب في الكلام

قبل الخوض في عيوب الكلام ، يجدر بنا أن نتعرف على نظرة المبرد للعيب يقع في الكلام . يشير المبرد إلى ضرورة تجاوز الخطأ الذي يصدر من المتفنن إذا وقع بين الكلام الجميل ، وإن كان لا ينكر ان وقوع الخطأ والقبح بين الدرر يكون أكثر وضوحا ، فيقول(٢) "وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره ، وسترتا من شَيْنه ، وإن شاء قائل ان يقول : بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر كان له ذلك ، ولكن يُغْتفر السيء للحسن ، والبعيد للقريب" .

فهذا الراي للمبرد يقوم على ضرورة النظرة الشاملة للنص ، وضرورة وضع الأخطاء في حجمها الطبيعي دون السماح لها بالتاثير على مجمل النص الأدبي .

---

(١) مر سابقاً حديثه حول شروط اللفظ والمعنى .

(٢) الكامل : ١/٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونعود لعيوب الكلام، فقد وردت في عدة مواضع يعتبر حديث معاوية اكثرها توسعاً، فقد شرحه المبرد، وعلّق عليه. وهذا الحديث هو(١) "قال معاوية يوماً: من افصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتيّة العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة الضاعة، ولا طمطمانية حِميَر. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال: قومك يا امير المؤمنين". وسوف نستعرض هذه العيوب وغيرها مما ذكره المبرد في غير هذا الموضع، ونرجع إلى اللسان لنرى مدى العلاقة بين تفسير المبرد وما ورد في اللسان حول الموضوع.(٢)

١- فراتية العراق

على الرغم من ورودها في اول الحديث، فالمبرد لم يفسرها ولم يتطرق إليها، والسبب قد يكون وضوحها عنده، وقد فسرها المرصفي بقوله(٣) "يريد انهم اهل بداوة لا حَضارة" فكلام اهل البادية فيه خشونة وغلظة".

٢- كَشكشة تميم

وفسرها المبرد بقوله(٤) "إن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث، فوقفت عليها، ابدلت منها شيناً، لقُرب الشين من الكاف في المخرج، ولأنها مهموسة مثلها، فارادوا البيان في الوقف، لأن في الشين تفشياً، فيقولون للمرأة: جعل الله البركة في دارش، وويحك مالش، والتي يدرجونها يدعونها كافاً، والتي يقفون عليها يبدلونها شينا(٥)"، وفي اللسان لها نفس التعريف

---

(١) الكامل: ٧٦٥/٢ .

(٢) إبن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت. د. ط، ١٩٥٥م. وسارجع إليه بإسم اللسان.

(٣) المرصفي: رغبة الآمل من كتاب الكامل، ٢٠٥/٥، مكتبة الأسدي - طهران، د. ط. ١٩٧٠ .

(٤) الكامل: ٧٦٥/٢ .

(٥) هذا النوع من الكلام ما يزال ينتشر في قرى فلسطين خاصة المناطق الشمالية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر حديث معاوية ويشير إلى انها لغة لربيعة ولبني اسد.(١)

٣- كَسْكسة بكر

ويفسرها المبرد بقوله (٢) "واما بكر فتختلف في الكسكسة، فقوم منهم يبدلون من الكاف سيناً، كما فعل التميميون في الشين، وهم اللتّهم، وقوم يبيّنون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أعطيتُكِسْ". وفي اللسان لها نفس التعريف، ويذكر حديث معاوية، ويشير إلى انها لغة هوازن.(٣)

٤- غمغمة القضاعة

وعرّف المبرد الغمغمة بقوله (٤) "ان تسمع الصوت فلا يتبيّن لك تقطيع الحروف". واورد المبرد قصة فيها شاهد حول الغمغمة (٥)، نكتفي بذكر الشاهد (٦):

إنّك لو شهدت يوم الخندمه إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه
ولحقتنا بالسيوف المسلمه يَقطلنَ كلّ ساعد وجمجمه
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه لهم نهيتٌ حولنا وحمحمه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وفي اللسان أضاف تعريفاً آخر هو صوت الثيران عند الذعر، واصوات الفرسان في الوغى عند القتال. كما ذكر حديث معاوية (٧).

٥- طُمطمانيّة حِمير

وعرّفها المبرد بقوله (٨) "والطمطمة أن يكون الكلام مشابهاً لكلام العجم". واكثر المبرد من ذكر الشواهد على

---

(١) اللسان: (كشش).
(٢) الكامل: ٢/٧٦٥ - ٧٦٦.
(٣) اللسان: (كسس).
(٤) الكامل: ٢/٧٦٢.
(٥) الكامل: ٢/٧٦٦ - ٧٦٧ كامل القصة.
(٦) هو حماس بن قيس اخي بني بكر. اللسان: (خندم).
(٧) اللسان: (غمم).
(٨) الكامل: ٢/٧٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطمطمة ، وذكر عدد ممن كان به طمطمة (١). نكتفي بشاهد وهو قول عنترة .(٢)

تبري له حُول النّعام كما أوت حِزق يمانية لأعجم طمطم

وفي اللسان(٣) "رجل طمطم في لسانه عجمة لا يفصح" وذكر حديث معاوية وبيت عنترة . كما فسّر اللسان طمطمة حمير بقوله (٤) "شُبّه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العجم".

٦- اللكنة

وعرّفها المبرد بقوله (٥) "أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية". وأشار المبرد إلى عدد من القدماء ممن كانوا يرتضخون لكنة في كلامهم. منهم صهيب الرومي كان يرتضخ لكنة رومية (٦)، وذكر أمثلة على اللكنة (٧)، نذكر مثالاً واحداً، وهو "كان عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنةً حبشية ، فلما انشد عمر ابن الخطاب:

عُميرة ودّع إنْ تجهّزْت غاديا

كفى الشّيب والإسلام للمرء ناهيا(٨)

---

(١) الكامل: ٧٦٧ - ٧٦٩ .

(٢) عنتره : ديوان عنترة ، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م. وسارجع إليه باسم عنترة. ق١/٣٠ ، ص٢٠٠ ، ورواية الديوان: ياوي إلى حزق النعام كما أوت.

(٣) اللسان: (طمم).

(٤) اللسان: (طمم).

(٥) الكامل: ٧٦٢/٢ .

(٦) الكامل: ٧٦٧/٢ .

(٧) الكامل: ٧٦٨/٢ - ٧٦٩ .

(٨) سحيم: ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ ، ق ب/١ ، ص١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال عمر: لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجترتك، فقال: ما سعرت، يريد: ما شعرت". وفي اللسان(١) "ان الألكن الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه".

٧- الغنة والخنة

وعرفهما المبرد بقوله(٢) "الغنة ان يشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنة اشد منها". والمبرد يقبل الغنة من الجارية الصغيرة على إقلال، فقد قال(٣) "وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لأنها ما لم تفرط تميل إلى ضرب من النغمة".وفي اللسان عرف الغنة بصوت فيه ترخيم. كما نقل تعريف المبرد للمبرد للغنة والخنة.(٤)

٨- التمتمة والفافاة

وعرفهما المبرد بقوله(٥) "التمتمة: التردد في التاء، والفافاة: التردد في الفاء". وقد استشهد المبرد لهما بعدة أبيات(٦). نذكر منها قول الراجز(٧):

ليس بفافاء ولا تمتام ولا مُحث سقط الكلام

وفي اللسان التمتمة هو ان يعجل بكلامه فلا يكاد يفهمك(٨)، والفافاء: الذي يعسر عليه خروج الكلام. وذكر تعريف المبرد لهما.

٩- العُقْلة

وعرفها المبرد بقوله(٩) "والعُقْلة التواء اللسان عند إرادة الكلام" وذكر لها قول الشاعر(١٠):

وقد تعتريه عُقْلة في لسانه إذا هُزّ نصل السيف غير قريب

---

(١) اللسان: (لكن). (٢) الكامل: ٧٦٢/٢ .

(٣) الكامل: ٧٦٩/٢ . (٤) اللسان: (غنن).

(٥) الكامل: ٧٦٢/٢ . (٦) الكامل: ٧٦٢/٢ - ٧٦٣ .

(٧) البيتان لأبي الزحف بن عطاء بن الخطفي في البيان والتبيين ٣٨/١ .

(٨) اللسان: (تمم). (٩) الكامل: ٧٦١/٢ .

(١٠) الكامل: ٧٦٤/٢ ، ولم اجد هذا البيت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي اللسان العاقل قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام(١)، ونقل تعريف المبرد للعقلة.(٢)

١٠- الحُبْسة

وعرفها المبرد بقوله(٣) "الحبسة تعذر الكلام عند إرادته". واستشهد لها بقول محمد بن الجهم(٤) "لما كانت أيام الزّط ادمنت الفكر، وامسكت عن القول، فاصابتني حبسة في لساني(٥)" ويرى المبرد اسباب الحبسة في قلة الكلام. ويورد قول العتابي(٦) "إذا حُبس اللسان اشتدت عليه مخارج الحروف".

وفي اللسان: الحبسة في الكلام التوقف ونقل تعريف المبرد.(٧)

١١- اللفف

وعرفه المبرد بقوله(٨) "اللفف إدخال حرف في حرف"، واستشهد بقول الراجز(٩):

كانّ فيه لَفَفاً إذا نطقْ من طول تحبيس وهمّ وأرقْ

وفي اللسان: هو الثقيل اللسان. وذكر تعريف المبرد.(١٠)

١٢- الرّتّة

وعرفها المبرد بقوله(١١): "والرّتّة كالريح تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتّصل" وقال عنها في موضع آخر(١٢): "واما الرّتة فإنها تكثر في الأشراف، ولم توجد تختصّ واحداً دون واحد". ولم يفسّر المبرد سبب كثرتها في الأشراف دون

---

(١) اللسان: (عقل). (٢) اللسان: (حبس).

(٣) الكامل: ٧٦١/٢ .

(٤) الكامل: ٥٣٢/٢ . و ٧٦٤/٢ برواية أخرى.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين: ٣٨/١ .

(٦) الكامل: ٧٦٤/٢ . (٧) اللسان: (حبس).

(٨) الكامل: ٧٦٢/٢ .

(٩) البيتان لأبي الزحف بن عطاء بن الخطفي في البيان والتبيين ٣٨/١ . (١٠) اللسان: (لفف).

(١١) الكامل: ٧٦٢/٢ . (١٢) الكامل: ٧٦٤/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيرهم. وقد استشهد لها بقول الراجز(١):

يا ايّها المخلّط الأرتّ

وفي اللسان(٢): "الرّتّة: عجلة في الكلام، وقلة اناة، والرّت: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء". وذكر صاحب اللسان تعريف المبرد لها.

١٣- اللّثغة

وعرفها المبرد بقوله(٣) "واللّثغة: ان يُعدل بحرف إلى حرف" وبيّن فضل من يستطيع التخلص منها، واشهرهم واصل بن عطاء فقد مدحه المبرد لهذه الفضيلة بقوله(٤) "كان واصل بن عطاء احد الأعاجيب، وذلك انه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء، فكان يخلّص كلامه من الراء، ولا يفطن لذلك لاقتداره وسهولة الفاظه". كما أورد المبرد شعراً لأحد شعراء المعتزلة في مدح واصل ابن عطاء على تجنبه اللثغة فقال(٤):

ويجعل البُرّ قمحاً في تصرّفه

وخالف الراء حتى احتال للشّعر

ولم يُطق مُطراً والقول يُعجله

فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر(٥)

ويرى المبرد(٦) "اجتناب الحروف شديد" لا يقدر عليه إلا الأعاجيب، وأورد قصة عن ابن عطاء في ذلك(٧) "ومما يحكى عنه قوله - وذكر بشاراً - أما لهذا الأعمى المكتني بابي معاذ مَن يقتله؟! أما والله لولا ان الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه مَن يبعج بطنه على مضجعه، ثم لا يكون إلا سدوسياً أو عقيلياً(٨)" وبلغ من إعجاب المبرد ببلاغة ابن عطاء أن قام بشرح

---

(١) الكامل: ٧٦٤/٢. ولم أجد هذا البيت.

(٢) اللسان: (رتت). (٣) الكامل: ٧٦٢/٢.

(٤) البيتان في البيان والتبيين: ٢١٠/١ - ٢٢.

(٥) الكامل: ١١١٢/٣. (٦) الكامل: ١١١٣/٣.

(٧) الكامل: ١١١٣/٣.

(٨) الخبر في البيان والتبيين: ١٦/١ - ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيفية تجنب ابن عطاء للراء في كلامه فقال(١) "فقال: "هذا الأعمى"، ولم يقل بشاراً، ولا ابن برد، ولا الضرير، وقال "من أخلاق الغالية"، ولم يقل المغيريّة، ولا المنصورية، وقال "البعثت إليه"، ولم يقل لأرسلت إليه، وقال "على مضجعه"، ولم يقل على فراشه ولا مرقده، وقال "يبعج" ولم يقل يبقر". وهذا الشرح والتفصيل من المبرد لهذه الخصلة تؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً أن المبرد يرى البلاغة من الأمور المكتسبة، والتي يستطيع المرء أن يصل إليها بجهده واجتهاده.

وفي اللسان ذكر تعريف المبرد دون أن يرده إليه، ولم يزد عليه شيئاً.(٢)

١٤- الصفير

لم يعرفه المبرد، ولكنه اهتم بضرورة سلامة الكلام من الصفير، "فالكلام الخالي من الصفير منزلة فوق الكلام الذي يعتوره الصفير، فالأذن تتذوق فتستحسن وتستهجن، وتنقل للنفس إحساساً بالحسن والقبح مما يؤثر في بلاغة الكلام(٣)". ولقد أورد المبرد رواية حول أثر الصفير في بلاغة الكلام، فقال(٤) "خطب الجثمميّ، وكان منزوع إحدى الثّنيتين، وكان يصفر إذا تكلّم، وأجاد الخطبة، وكانت لنكاح، فردّ عليه زيد بن علي ابن الحسين كلاماً جيداً إلا انه فضله بتمكين الحروف وحسن مخارج الكلام. فقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر يذكر ذلك(٥):

صحّت مخارجها وتمّ حروفها فله بذاك مزيّة لا تنكر"(٦)

---

(١) الكامل: ٣/١١٣. (٢) اللسان: (لثغ).

(٣) عبدالقادر حسين، أثر النحاة، ص٢٠٠.

(٤) الكامل: ٣/١١١٣ - ١١١٤.

(٥) عبدالله بن معاوية: شعر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب، ص٤٦ جمعه: عبدالحميد راضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

(٦) الخبر في البيان والتبيين: ١/٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنظيم على نسق

بعد ان طالب المبرد بتجنب العيوب المفردة للوصول إلى الكمال البلاغي، فقد أشار إلى ضرورة التنسيق في القول، ومراعاة المعنى في البيت الواحد وفي الأبيات المتلاحقة حتى تبدو القصيدة وحدة متكاملة (١). ومن أمثلة هذا التوجه عند المبرد قوله (٢) "حدثت ان الكميت بن زيد انشد نُصيباً فاستمع له، فكان مما انشده

ولقد رأينا بها حوراء منعمّة

بيضاء تكامل فيها الدّل والشنب

فثنى نُصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: احصي خطاك! تباعدت في قولك "تكامل فيها الدّل والشّنب" هلا قلت كما قال ذو الرّمة (٣):

لمياء في شفتيها حُوّة لعس وفي اللّثات وفي انيابها شنب

وعلّق المبرد على ذلك فقال(٤) "والذي عابه نُصيب من قوله "تكامل فيه الدّل والشنب" قبيح جداً"، وهذا هو انتظام القول من حيث الترابط بين الشكل والصورة.

وفي عدم التنسيق المعنوي، والذي يأتي بسبب عدم مطابقة القول لحقيقة الحال، ذكر له المبرد مثالاً هو تكملة الخبر السابق بين الكميت ونصيب، فقال المبرد "ثم انشده في اخرى:

كأنّ الغطامط منّ غليها اراجيز اسلم تهجو غفارا

فقال له نُصيب: ما هجت اسلم غفارا قطّ، فاستحيا الكميت فسكت". وواضح من خلال المثالين تأكيد المبرد على ضرورة

---

(١) هذا ما عُدّ في العصر الحديث الوحدة الموضوعية للقصيدة.

(٢) الكامل: ٢/٦٩٠ - ٦٩١.

(٣) ذو الرمة: ديوان ذي الرمة بشرح ابي النصر احمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: عبد القدوس ابو صالح، ف ١/١٩، ج١/٣٢، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. وسارجع إليه باسم ذي الرمة.

(٤) الكامل: ٢/٦٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنسيق في الكلام، فلا يختل القول بالصور المهتزة، ولا يكون في البيت ما ينافي الحقيقة.

لم يتوقف المبرد عند هذا الحد من طلب التنسيق، فقد تعدى التنسيق في البيت الواحد إلى التاكيد على ضرورة التنسيق بين جميع أبيات القصيدة حتى تظهر متناسقة الأجزاء يأخذ بعضها بتلابيب بعض. وأورد المبرد أمثلة عديدة تؤكد مطلبه نذكر منها قوله (١) "وحُدِّثت أن عُمر بن لجإ قال لابن عمٍّ له: أنا أشعر منك، قال له: وكيف؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه". فالمقصود بقوله هنا هو أنه ينسق بين أبيات قصيدته، ولا يبعد عن هدفه أبداً، فأبياته متلاصقة متشابهة. ونذكر مثالاً آخر هو قول الشاعر(٢):

وشِعرٍ كبعْر الكبش فرّق بينه

لسان دعيٍّ في القريض دخيلُ

يعلق المبرد على البيت(٣) "وبعر الكبش يقع متفرّقاً". من هذا المثال نرى أن الذي لا ينظّم قوله، وينسق بين أبياته ليس شاعراً. إنما هو دخيل ودعيٌّ على الشعر.

وقد لخص المبرد كل ما سبق حول ضرورة التنسيق بقوله (٤) "وذلك أن الكلام لم يجْر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشاكلة". فالتنسيق ليس زخرفاً للقول وفضلة إنما هو من اساسيات القول البليغ. وأول ما يُطلب من المتفنن العمل به.

الإطناب والاختصار

شغلت قضية الإطناب والاختصار البلاغيين في مختلف العصور. وشارك المبرد في هذا الجهد واشار في كتبه المختلفة إلى فضل الاختصار، إلا انه لم يغمط الإطناب حقه ومجاله.

---

(١) الكامل: ٦٩١/٢ .

(٢) ابو البيداء الرياحي: البيان والتبيين ٦٦/١ .

(٣) الكامل: ٦٩١/٢ .

(٤) الكامل: ٦٩١/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ا لإ طنـا ب

يعتبر المبرد الإطناب من الأساليب العربية، فقال في حقه (١) "من كلام العرب: الاختصار المفهم والإطناب المفخم". وقد نقل المبرد رواية تُعدّ دفاعاً مشروعا عن الإطناب، وذلك قوله (٢) "قال رجل لخالد بن صفوان إنك لتكثر، فقال: أكثر لضربين: أحدهما: فيما لا تغني فيه اللثة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العقلة". ويتضح من هذا الشاهد أهداف الإطناب كما يراها المبرد، فالهدف الأول هو في المواقع التي لا ينفع فيها الاختصار، ولا يؤدي الهدف غير الإطناب في القول. ولم يفصّل المبرد مجالات الإطناب كما فعل الآخرون أمثال أستاذه الجاحظ(٣). والهدف الثاني للإطناب عنده هدف تعليمي ليعتاد المتفنن ويتدرب على أساليب الكلام، ويعتاد على مخاطبة الناس بيسر وتمكّن. ولقد أشار المبرد إلى أهمية هذا الهدف بشكل صريح بقوله (٤) "وكان يُقال: اصمُت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتُدقق". فتعويد اللسان على الكلام والممارسة تُعد عند المبرد سببا هاماً للوصول إلى مراتب البلاغة.(٥)

ا لا ختصـا ر

أشاد المبرد بالاختصار في ثنايا كتبه، ولعل أكثر الإشارات وضوحاً قوله (٦) "وقال معاوية لعياش بن صُخار العبدي. ما أقرب الاختصار؟ قال: لمحة دالّة (٧)"، وليس بعد هذا إختصار. ويرى المبرد كذلك(٨) "خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره" فإذا أدى القائل المطلوب بأقل عدد من الألفاظ فهو الغاية

---

(١) الكامل: ١/٤٠ . (٢) الكامل: ٢/٥٣٢ .

(٣) محمد عبدالغني المصري: نظرية الجاحظ في البلاغة، ص١٢٧ - ١٣٨، دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى. ١٩٨٣ م.

(٤) الكامل: ٣/١٥٠٣ . (٥) مرّ سابقاً.

(٦) الكامل: ٢/٨٨٤ .

(٧) الخبر في البيان والتبيين: ١/٩٦ . (٨) الكامل: ٢/٨٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمطلوب.

ولقد عقد المبرد فصولاً وابوابا عديدة تدل على مدى اهتمامه بالاختصار نذكر منها(١) "باب في مراث بليغة وعظات موجزة وابيات مستحسنة" وكذلك(٢) "باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ".

واكثر المبرد من سرد الامثلة على حسن الاختصار دون إخلال بالمعنى، نذكر منها قوله عن اول خطبة لابي بكر بعد توليه الخلافة (٣) قال عنها العتبي: "لم ار اقل منها في اللفظ ولا اكثر في المعنى".

وعقد المبرد مقارنة بين ابيات شعرية لشعراء معروفين، وفضّل الكلام المختصر على المطوّل إذا تساويا في المعنى، ونذكر مثلا لذلك ليتبين لنا بُعد النظر عند المبرد حول الاختصار(٤). فالمبرد يورد قول امرىء القيس(٥):

سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكِر

فامرؤ القيس جمع في بيت واحد اوصافا كثيرة، كما وصف الممدوح بالجود في حالتي الصحو والسّكر. والمبرد يفضل هذا البيت على قول عنترة (٦):

فإذا شربت فإنّني مستهلك" مالي وعرضي وافر" لم يُكلم

وإذا صحوت فما اقصّر عن ندى وكما علمْت شمائلي وتكرّمي

لأن البيتين يحملان معنى بيت امرىء القيس السابق غير ان عنترة أطنب في قوله فادى المعنى في بيتين فاستحق منزلة دون الاول الذي اتصف بالايجاز.

---

(١) الفاضل: ص٥٩ . (٢) الكامل: ١٣٦١/٣ .

(٣) الكامل: ١٨/١ .

(٤) البلاغة: ٨٣ - ٨٥ ، وايضاً ٨٢ - ٨٣ .

(٥) امرؤ القيس، ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ق١٩/١٤ . ص١١٣ . دار المعارف. مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م. وسارجع إليه باسم امرىء القيس.

(٦) عنترة: ق٤٥/١ ، ٤٦ ، ص٢٠٦ - ٢٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يفضل المبرد بيتي عنترة على قول طرَفة (١):

اسْدٌ عَلَيَّ فإذا ما شربوا وهبوا كلّ امسونٍ وطَمِرْ

ثمّ راحوا عبقٌ المسك بهم يلحقون الأرض هدّاب الأزُر

لأنه قصّر في المعنى، ووصف القوم بالجود إذا تغيّرت عقولهم فقط، فقول امرىء القيس افضل من قول عنترة وطرفة لأنه "أجمع وأخصر"(٢)، ويليه قول عنترة لأنه وإن كان شاملاً فهو ليس موجزاً. وفي النهاية تاتي منزلة طرفة في البلاغة، لأن قوله افتقد الشمول والايجاز.

ويتضح من هذا أن المبرد قد وازن بين الشمول والاختصار، فالأصل عند المبرد ان يؤدي القول هدفه وغايته، وكلما ادى هذا الهدف باقل ما يمكن من الألفاظ كان القائل ابلغ ممن قال ووصل إلى ذات الهدف بعدد اكثر من الألفاظ، فمدار الكلام عند المبرد ليس قلة الكلمات وإنما الهدف من القول، والقياس إنما يكون بين الشعراء حول قدرتهم على التعبير عن ذات الهدف، فالأبلغ من استطاع التعبير باقل الألفاظ.

الأمثال

اشاد المبرد بالأمثال وانها تلمع للاختصار، وقد شمل حديث المبرد الأمثال الشعرية والأمثال النثرية في مجال الأمثال الشعرية كتب المبرد رسالة في ذلك سمّاها "رسالة في اعجاز ابيات تغني في التمثيل عن صدورها(٣)" وذكر في الرسالة اربعة

---

(١) طرفة بن العبد: ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، ق٢/٤٣، ٤٤، ص٦٥، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ط، ١٩٧٥م.

(٢) البلاغة: ص٨٣.

(٣) نوادر المخطوطات، المجموعة الثانية، تحقيق عبد السلام هارون من ص١٦٣-١٧٣، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمانين عجزاً شعرياً لعدد كبير من الشعراء من القدماء والمحدثين دون أن يفسر الأبيات النصفية أو يعطي سبباً لإيرادها. وهذا يدخل ضمن نظرة المبرد لضرورة الإيجاز إذا أدّى المعنى. ونكتفي بذكر مثال واحد من هذه الرسالة للوقوف على لطافة فكر المبرد. قال المبرد (١)

"قال دريد بن الصمة:

يضع الهناء مواضعَ النّقب" (٢)

كما يوجد في ثنايا كتبه المختلفة العديد من الأمثال الشعرية سواء الأبيات الكاملة أو أنصاف الأبيات أو الصور الشعرية.

وفي الجانب المقابل فإن الأمثال النثرية كثيرة جداً، ولقد كان يفسر الأمثال أحياناً وأحياناً يتركها بلا تفسير. فمن القسم الأول المفسر قوله (٣) "وهذه الأمثال ثلاثة، منها مرعى ولا كالسعدان (٤)" و"فتى ولا كمالك" (٥) و"ماء ولا كصدّاء" (٦) تضرب هذه الأمثلة للشيء الذي فيه فضل وغيره أفضل منه". ومن الأمثال غير المفسرة وإنما تأتي استطراداً للحديث (٧) "أكسب من ثعلب" (٨).

وكثرة الامثال عند المبرد تشير الى دورها الكبير في توضيح المقصود من الكلام بأقصر الألفاظ.

---

(١) نوادر المخطوطات، ص١٦٨.

(٢) ديوان دريد بن الصمة، جمع وتحقيق: محمد خير البقاعي، ص٣٤، دار ، د.ط، ١٩٨١م.

(٣) الكامل: ١٤/١.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ٢٧٥/٢، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، مصر، د. ط، ١٩٥٥م. وسأرجع إليه باسم الميداني.

(٥) الميداني: ٧٨/٢.

(٦) الميداني: ٢٧٧/٢.

(٧) الكامل: ٢٤٢/١.

(٨) الميداني: ١٦٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوقيعات

هي من فنون الاختصار التي اشتهرت زمن العباسيين. والتوقيع في اللغة هو(١) "توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب ان يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول". واصل التوقيعات انها(٢) "عبارات موجزة بليغة، تعوّد ملوك الفرس ووزراؤهم ان يوقعوا بها على ما يقدّم إليهم من تظلّمات الأفراد في الرعية وشكواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع".

والتوقيعات "غاية في البلاغة والإيجاز"(٣). ويعتبر جعفر ابن يحيى خير من يصور هذا اللون البلاغي في العصر العباسي حتى قيل(٤) "كان جعفر بليغاً كاتباً، وكان إذا وقّع نسخت توقيعاته، وتدورست بلاغاته".

اشاد المبرد بالتوقيعات، ومثّل لها الأمثلة، والحق بها الولاء للرسول صلى الله عليه وسلم وللصحابة والتابعين وامثال عربية وإن لم يسمّ هذه الأقوال توقيعات فهي اقرب للتوقيعات لبلاغتها وإيجازها. فمن التوقيعات التي يوردها المبرد عن جعفر ابن يحيى قوله(٥) "واكثر الناس شكيّة عامل فوقّع إليه في ظلمتهم: يا هذا، قد كثُر شاكوك، فإمّا عدلتَ، وإما اعتزلت".

وقد بلغ من إعجاب المبرد بهذا اللون البلاغي انه نقل عبارات عديدة تمدح اصحاب التوقيع، وتعدهم من ابلغ البلغاء(٦)،

---

(١) اللسان: (وقع).

(٢) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص٤٨٩، دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت.

(٣) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص٣١٩، المكتبة البوليسية، الطبعة الثانية، د. ت.

(٤) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص١٩٥، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥م.

(٥) الكامل: ٣٩٢/١.

(٦) الكامل: ٣٩٢/١ - ٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نذكر منها قوله (١) "قال موَيْس بن عمران: ما رأيت رجلاً ابلغ من يحيى بن خالد، وأيوب بن خالد". (٢)

واشار المبرد إلى دعوة جعفر بن يحيى إلى نشر التوقيعات والعمل بها مع علمه بمشقة الوصول إلى ذلك الفن الرفيع من الاختصار. وذلك قوله (٣) "قال جعفر بن يحيى لكُتّابه: إن قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا". وعلى الرغم أن المبرد لم يعلق على هذا القول، فهو بذكره يدعو إليه ويحض الكتّاب والبلغاء على المشي على هذا المنوال من الاختصار والوضوح. (٤)

التكلف في الكلام

أشار المبرد إلى تفضيله الكلام الواضح الخالي من التكلف، "واستحسن المبرد الكلام الذي يسلم منه راي من التكلف" (٥). وكانت إشارات المبرد كثيرة واضحة في الدلالة على ذلك، وإن كان بعضها جاء خلال الكلام عن ابيات شعرية أو قطع نثرية. ولعل اوضح ما جاء في ذلك قوله (٦) "ومما يُفضّل لتخلصه من التكلف وبعده عن الاستعانة قول ابي حية النّمري (٧)

رمتْني وستر الله بيني وبينها عشيّة آرام الكناس رميمُ
الا رُبَّ يوم لو رمتني رميْتها ولكنّ عهدي بالنضال قديم

يقول رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها، ولو كنت شابا لرميت كما رُميت، وفتنت كما فُتنت، ولكن قد تطاول عهدي

---

(١) الكامل: ٣٩٣/١ . (٢) البيان والتبيين: ١١٥/١ .
(٣) الكامل: ٣٩٣/١ . (٤) البيان والتبيين: ١١٥/١ .
(٥) مجيد عبدالحميد ناجي: الأثر الأغريقي في البلاغة العربية، ص:٢٣٤، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، د. ط، ١٩٧٦م. (٦) الكامل: ٤٣/١ - ٤٤ .
(٧) ابو حية النمري: شعر ابي حية النمري، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، ق٦٣/٧٠٦، ص١٧٢-١٧٣، وزارة الثقافة، دمشق، د. ط. ١٩٧٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشباب، فهذا كلام واضح".

فالمبرد يحرص على جمال الكلام ووضوحه، على أن يتم ذلك بطريقة سليمة بعيدة عن التكلف والتزيّد. فالأصل عنده الصدق الفني والموضوعي فالصدق الفني يتم بالبعد عن التكلف والتعنت، أما الصدق الموضوعي فيقوم على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

الوضوح والتعقيد في الكلام

امتاز المبرد بتفضيله الوضوح في الكلام، وجاء ذلك في اختياراته للأمثلة والشواهد المختلفة. وإن كان كلامه حول الوضوح قد اتى في مواضع عديدة، فمن ذلك قوله (١) "فمن الفاظ العرب البيّنة القريبة المفهمة الحسنة الرصف الجميلة الوصف قول الحطيئة (٢):

وذاك فتى إن تاته في صنيعة إلى ماله لا تاته بشفيع"

ومن الأمثلة الأخرى على ميل المبرد للوضوح قوله تعليقاً على قول الفرزدق(٣):

والشّيب ينهض في السّواد كأنّه ليل يصيح بجانبيه نهار

يقول المبرد(٤) "فهذا أوضح معنى، وأعرب لفظ، وأقرب مأخذ". وفي تعليق آخر يقول(٥) "فهذا كلام واضح وقول عذب".

وفي الجهة المقابلة، فقد اشار المبرد إلى التعقيد في الكلام، وعدّه من القبائح. فذكر التعقيد اللفظي وجاء له ببيت

---

(١) الكامل: ١/٤٠ .

(٢) الحطيئة: ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق: نعمان امين طه، ق١١/٢٤ ص٧٣ . ورواية الديوان "الصنيعة" مكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م. وسارجع إليه باسم الحطيئة.

(٣) الفرزدق: ١/٣٧٢ البيت العاشر.

(٤) الكامل: ١/٤٣ .

(٥) الكامل: ١/٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرزدق المشهور(١):

وما مثله في الناس إلا مملّكا ابو أمه حيّ ابوه يقاربه

وعلّق المبرد على البيت بقوله (٢) "ومن القبح الضرورة واهجن الألفاظ وابعد المعاني"، ثم شرح البيت شرحاً وافيا ليبين ما فيه من سقم وتعقيد فقال(٣): "مدح بهذا الشعر إبراهيم ابن إسماعيل بن هشام بن المغيرة، وهو خال هشام بن عبد الملك؛ فقال: "وما مثله في الناس إلا مملكا"، يعني بالملك هشاماً، ابو أم ذلك الملك ابو ذلك الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه ان يقول: وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملك، ابو أم هذا الملك ابو هذا الممدوح، فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجّنه بما أوقع فيه من التقديم والتاخير"، يُعدّ هذا الشرح الضخم للبيت - وهو ما لم يحظ به بيت آخر - دليلاً قويّاً على مقت المبرد وسخطه للتعقيد وما فيه من جمود وبُعد عن الذوق الأدبي.

وتحدث المبرد في الجانب المقابل عن نوع من التعقيد يقع في المعنى، سماه البلاغيون - فيما بعد - التعقيد المعنوي، وعقد مقارنات حول هذا النوع من التعقيد، وبيّن فضل الوضوح على التعقيد.(٤)

ومن هذه المقارنات قوله (٥) "قال قائل للربيع بن خثيم عندما رُئي من اجتهاده، وإغراقه في العبادة، وإنهاكه في الصوم والصلاة وسائر سبل الخير: قتلت نفسك؛ فقال: راحتها أطلب" علّق المبرد على هذا الكلام "فهذا كلام محيط بالمعنى لا فضل فيه

---

(١) خلت منه أصول الديوان، فزاده ناشره (طبعة الصاوي) ص١٨ (محقق الكامل). ونسب له في الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزيني، ص١٠، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٢) الكامل: ٤١/١ . (٣) الكامل: ٤٢/١ .

(٤) البلاغة: ٨٥ وما بعدها. (٥) البلاغة: ص٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه" وقارن المبرد بين هذا القول وبين بيت العباس بن الأحنف المشهور(١):

ساطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

يقول المبرد(٢) "اغترب فاكسب ما يطول به مقامي معكم وقربي منكم، فهذا أحسن والأول أوضح".

فالمبرد قد تحدث عن التعقيد بنوعيه: اللفظي والمعنوي: فاللفظي الذي ينشأ بسبب فساد اللفظ، وما فيه من تقديم وتأخير تؤدي إلى خلل في النظم، والمعنوي الذي يأتي بسبب فساد المعنى، وعدم الوصول إلى المعنى المقصود.

ولقد حاز هذا الموضوع على اهتمام المتأخرين من البلاغيين، ودخل عندهم تحت أسماء مختلفة، وإن جاء الجميع بهذين البيتين حتى قال أحدهم(٣): "وكان الأدب العربي قد خلا من أمثلة التعقيد بشقيه، ولم يكن فيه غير هذين البيتين فحسب".

بلاغة القرآن والحديث

ويلحق الكلام عن الوضوح والتعقيد، حديث للمبرد حول بلاغة القرآن الكريم وبلاغة الحديث النبوي. في البداية يقرر المبرد أسس المقارنة بين الكلام لتفضيل بعضها عن بعض فيقول(٤) "فهذا

---

(١) العباس بن الأحنف: ديوان العباس بن الأحنف، ص١٠٦، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٧٨م. وانظر أيضاً الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ص٦٦، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د. ت. وأيضاً أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٢١٩، تحقيق: علي محمد البيجاوي وزميله، المكتبة العصرية، صيدا، د. ط، ١٩٨٦م.

(٢) البلاغة: ص٨٥.

(٣) عبد القادر حسين: أثر النحاة، ص٢٠٢.

(٤) البلاغة: ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلام عربي محض، وهذا مفاضلة بين الأشكال والنظراء". فالمقارنة عند المبرد تقوم بين المثلاء والنظراء، أما عندما يصل الأمر إلى سيد البشر فلا مجال للمقارنة بين قوله صلى الله عليه وسلم وقول ساثر البشر، يقول(١) "فإذا جاء قول لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته من كل منطق باثناً، وعلى كل قول عالياً، ولكل لفظ قاهراً. ويعطي المبرد مثالاً لبيان البون الشاسع بين كلام الرسول وكلام البشر يقول(٢) "فمن ذلك أنهم قالوا في تصرف الزمان، وتصرم الآجال، أقاويل معناها واحد، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفهم المسافة ما بين الكلامين، واتضاع الأقاويل عن قوله عليه السلام، وإن كانت غايات من قول غيره" وذكر اشعاراً نذكر مثالا عليها قول حميد بن ثور الهلالي(٣):

أرى بصري قد خانني بعد صحة وحسبك داءً أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوماً وليلة إذا طلبا أن يدركا ماتيمما

ويعلق المبرد على الأشعار والأقوال بقوله (٤) "فكل هؤلاء محسن مفجمل. والفضل منهم لأوزنهم كلاماً، وأسبقهم إلى المعنى. ولكن أين هذا كله من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) "كفى بالسلامة داء" ويعلق على قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (٦) "فانظر إلى هذا الكلام، الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، لا يطول المعنى ولا يقصر عنه، وانظر إلى فخامته

---

(١) البلاغة : ص٨٧ .

(٢) البلاغة : ص٨٨- ٩٠ .

(٣) حميد بن ثور: ديوان حميد بن ثور، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ق أ/٤ ، ٥ ص٧-٨ ، دار الكتب المصرية، نسخة مصورة عنها. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط. ١٩٦٥م. وانظر الكامل ٢٨٤/١ .

(٤) البلاغة : ص٩٠ .

(٥) السيوطي: الجامع الصغير ٢٢٧/٢ برقم ٦٢٣٤ . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٦) المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجزالته ؛ يقول: "كفى بالسلامة داء". فاي كلام اوعظ، او زجر في القلب اوقر؟ إن هذا الكلام ليجلّ عن ان يبلغه وصف، او يحيط بكنهه قول". فهذه نظرة المبرد لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلاغته ، فهي فوق الوصف روعة وجمالاً .

وينتقل المبرد إلى الحديث عن بلاغة القرآن الكريم ، ويرى الأمر في القرآن فوق المستوى البشري فيقول(١) "فإذا جاء امر القرآن نظرت إلى الشيء الذي هو أوحد ، والقول الذي هو مثنّبت، ألا ترى ان الله جعله الحجة والبيان والداعي والبرهان ، وإنما وضع السراج للبصير المستضيء ، لا للأعمى والمتعامي". ويذكر أمثلة للدلالة على علو شان القرآن الكريم نذكر واحداً منها(٢) ، فقد قال المبرد(٣) "قال أحد الشعراء في وصف قوم يحملون الشعر ولا يفهمونه ، قولا أجاد فيه ، وتقدم كلام كثير من المخلوقين ؛ فقال(٤):

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيّدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا
بأوساقه أو راح ما في الغرائر

فهيهات هذا من قول الله تعالى(٥) "مثل الذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً".

---

(١) البلاغة : ص٩٠ .

(٢) انظر الأمثلة الأخرى، البلاغة : ص٩١ - ٩٢ .

(٣) البلاغة : ص٩٠ - ٩١ .

(٤) البيان لمروان بن يحيى بن أبي حفصة في الكامل: ٢:١٠٣٧ ، وانظر أيضاً : الحماسة البصرية : ٢/٢٩٩ ، تحقيق: مختار الدين أحمد ، عالم الكتب، بيرت، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م. دون نسبة .

(٥) سورة الجمعة : ٦٢/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حرصت على إيراد الكلام على هذا الترتيب، الكلام الواضح، ثم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخيراً القرآن الكريم، اتباعاً للمبرد في ما رتّبه لهذا المبحث من جهة ولبيان مراتب الصعود في البلاغة بدءاً من كلام البلغاء وصولاً إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن الكريم من جهة أخرى.

وكذلك فإن هذا الترتيب يعطي للبلغاء حقهم وينصفهم بعدم مقارنة أقوالهم البشرية المحضة بما هو من عند خالق الكلام والبيان الذي "ليس كمثله شيء"(١). فهذا هو العدل والإنصاف.

---

(١) سورة الشورى: ١١/٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

بلاغة المبرد

١) المفردات البلاغية

٢) الإلتفاتات البلاغية

في القضايا النحوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتشرت المفردات البلاغية في كتب المبرد بشكل لافت للنظر، ولقد جاءت في صور متعددة، فمنها ما جاء بباب مستقل بذاته، ومنها ما جاء عرضاً أثناء حديث آخر وفصّل فيها، ومنها ما جاء تعليقاً على بيت شعري أو عبارة نثرية ولم يفصل فيها.

ولقد كان المبرد لا يولي قضية شرح المصطلحات كبير اهتمام - نظراً لطبيعة كتبه - فبعض المصطلحات لم يعرفها بشكل محدد، والبعض الآخر يذكر التعريف دون ذكر اسم المصطلح وسنتناول هذه المفردات البلاغية بشيء من التفصيل، ونبين ما ذكره المبرد من اسماء المصطلحات وتعليقه عليها.

وسوف نعتني بهذا الفصل بذكر الشواهد الممثلة ونرجع القارىء إلى بقية الشواهد.

١) التشبيه

احتلّ التشبيه مكانة كبيرة عند المبرد، وحاز على نصيب الأسد من المباحث البلاغية، فقد افرد هذا الأسلوب بباب مستقل(١)، واكثر من التفصيل والتفريع والتحليل، حتى قيل(٢) "ولعل المبرد أول من عني بالتشبيه مبحثاً بلاغياً عناية فائقة" وقيل ايضاً عن المبرد إنه(٣) "فصّل الحديث في التشبيه تفصيلاً لعله لم يسبق إليه".

وكان التشبيه قبل المبرد يثار عرضاً بمناسبة التعليق على بيت شعري أو مجاز آية من القرآن، ولم يكن هو القصد الأول الذي يرمي إليه المؤلف، وإنما نراه داخلاً في طيات غيره. وهذا يدعونا إلى البحث عن اسباب هذا الاهتمام الكبير الذي اعطاه المبرد لمبحث التشبيه دون غيره من المباحث.

---

(١) الكامل: ٩٢٢/٢ - ١٠٦٠.

(٢) الصاوي: ص٣١.

(٣) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص٦٠، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، د. ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشار المبرد إلى هذه الأسباب والدوافع بشكل غير مباشر في مواطن عديدة من الباب نستطيع ان نجملها بقولنا إن المبرد قد اقتنع بعد طول الممارسة والدراسة للغة العرب وأشعارها بأن التشبيه هو أكثر أساليب التعبير انتشاراً في كلام العرب(١). وعبّر عن هذه القناعة في اول باب التشبيه بقوله (٢) "والتشبيه جار في الكلام، اعني كلام العرب، حتى لو قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد".

طريقة المبرد في دراسة التشبيه

بنى المبرد طريقته في الدراسة على الاستقراء والاستنتاج الشخصي، "ولم يعتمد على أسلافه من علماء البلاغة والنحو واللغة كسيبويه، والفرّاء، وأبي عبيدة، وابن قتيبة"(٣). فقد توجه إلى الشعر العربي القديم والمحدث، وانتقى ما تضمنته عيونه من تشبيهات مصيبة جيدة، وبذلك تجمع لديه مادة غزيرة اعتمد عليها في تأسيس الباب شواهد وإستنتاجات(٤). ويؤكد ذلك الأمثلة التي لا تنتهي، والشواهد التي لا حصر لها، والتي تترك القسم الأكبر منها دون شرك او تعقيب لكثرتها وتنوعها.

التشبيه والمعنى

جاء في نهاية باب التشبيه قول المبرد(٥) "والتشبيه باب كأنه لا آخر له، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني"، واثارت هذه العبارة الكثير من النقاش، وكانت سبباً في انقسام الناس إلى فريقين فيما بعد كما يقول

---

(١) حمادي صمّود: ص٣٦١. (٢) الكامل: ٩٩٦/٢.

(٣) عبدالقادر حسين، أثر النحاة، ص٢١٢، وانظر ايضاً الصاوي، ص٣١. (٤) حمادي صمّود: ص٣٦١.

(٥) الكامل: ١٠٥٧/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاحب كتاب "التفكير البلاغي"(١)؛ فالفريق الأول يرى التشبيه باباً من الأبواب، والفريق الثاني ينظر إليه كصنعة لفظية. وواضح أن المبرد ينظر إلى التشبيه "بوصفه غرضاً من الأغراض، وليس مجرد صنعة لفظية، أو مجرد ركن من أركان البديع". (٢)

ويرى صاحب كتاب "فصول في البلاغة" في هذا (٣) "ان المبرد بهذا التقسيم يربط التشبيه بالنقد الأدبي، وبهذا يكون قد سبق الآمدي في ربط البلاغة بالمعاني، وسبق القاضي الجرجاني من حيث ربط البلاغة بالمعنى".

ويمكن الاستدلال من عبارة المبرد السابقة كذلك أنه قد أكثر من تناول الصناعة اللفظية في كتابه الكامل لدرجة كبيرة، ثم تناول التشبيه بالتفصيل والتفريع لئلا يخلو الكتاب من شيء من المعاني. وهذه النظرة المتقدمة للمبرد لم يتعمق في شرحها وتفصيلها، وذلك لطبيعة الكتاب، ومع ذلك فهي تعطي آفاقاً واسعة لمفهوم البلاغة بشكل عام وأهميته وليس للتشبيه فقط.

حد التشبيه

اهتم المبرد بالمقصود من التشبيه، والغاية من إيراده، فالمشبه به له وجوه متعددة، وحالات شتى، ولكن المقام والسياق يحددان المقصود بالتشبيه. يقول المبرد (٤) "واعلم ان للتشبيه حدّاً، لأنّ الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، فإنما تنظر إلى التشبيه من أين وقع؛ فإذا شُبّه الوجه بالشمس والقمر فإنما يُراد به الضياء والرونق، ولا يُرادُ به العِظَم والإحراق". ويورد المبرد العديد من الأمثلة ليوضح المقصود من ذلك، منها قوله (٥) "والعرب تُشبّه المرأة بالشمس، والقمر،

---

(١) حمادي صمّود: ٣٦٧ - ٣٦٨. (٢) الصاوي: ص٣١.

(٣) ابو علي: ١٠١ - ١٠٣. (٤) الكامل: ٩٤٨/٢.

(٥) الكامل: ٩٥٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغصن، والكثيب، والغزال، والبقرة الوحشية، والسحابة البيضاء، والدرّة والبيضة. وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء". ويمثل المبرد لكل ذلك مبينا وجه الشبه وحدّه في ذلك، منها قوله (١) "قال الله جلّ وعز(٢) "كأنّهن بيض مكنون"، والعرب تشبّه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ورقة لونه". واستشهد بقول الراعي(٣)

كانّ بيْض نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهن قيظ ليلة ومدُ

ومثال آخر على وضوح مفهوم حد التشبيه عند المبرد قوله في ذات السياق بعد ذكر بيتي جرير(٤)

ما استوصف الناس من شيء يروقهم

إلا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنّها مُزْنة عبراء رائحة"

او درّة لا يواري ضوءها الصدف

"و"المزنة" السحابة البيضاء خاصة، وجمعها "مُزْن"؛ قال الله جلّ وعز(٥) "أأنتم أنزلتموه من المُزن". والمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مَرّها"(٦)، وبعد هذه الأمثلة وغيرها نستطيع القول إن المبرد "قد التفت إلى قيمة التشبيه من الوجهة النقدية حين ربطه بالموقع والقصد".(٧)

---

(١) الكامل: ٩٤٨/٢ .

(٢) سورة الصافات: ٤٩/٣٧ .

(٣) ديوان الراعي النميري، تحقيق: راينهرت فايبرت. ق٧/١٦ . ص٥٥ ، منشورات دار فرانش شتاينر، المعهد الألماني، بيروت، د.ط، ١٩٨٠ .

(٤) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد امين طه، ق١٠/١٦-١١ ، ج:١٦٩/١-١٧٠ ، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦٩ .

(٥) سورة الواقعة:٦٩/٥٦ ، وتتمة الآية "...أم نحن المنزلون".

(٦) الكامل: ٩٤٩/٢ .

(٧) بركات ابو علي، ص١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختصار التشبيه (١)

تعرض المبرد لقضية اختصار التشبيه، وقد اشاد به، وبيّن انه قد يصل إلى درجة لا يكاد يظهر معها، ومما لذلك من اثر نفسي. ولم يتوسع في القضية تاركاً للقارىء ان يجتهد ويصل إلى النتيجة بنفسه، يقول المبرد(٢) "والعرب تختصر التشبيه، وربّما اومات إليه إيماءً "ويستشهد بقول احد الرجّاز(٣)

بِتنا بحسّان ومعزاه تئطْ ما زلت اسعى بينهم والشتبطْ

حتى إذا كاد الظلام يختلط جاؤوا بمذْق هل رايت الذئب قطْ

يقول: في لون الذئب. واللبن إذا جُهد وخُلط بالماء ضرب إلى الغبرة(٤)". وواضح ان تفسير المبرد للأبيات يُراد به بيان التشبيه، وذلك لشدة اختصاره فالشاعر قد شبّه اللبن بلون الذئب، وجاء ذلك بشوب رائع لا يكاد يظهر.

أضرب التشبيه

استعمل المبرد للتشبيه نعوتاً كثيرة، لا يستطيع الباحث إدراك ما يميز أحدها عن غيره، فهي في اغلب الأحيان متداخلة المعنى بل متطفلة احياناً، والمبرد لم يضع لهذه النعوت حدوداً تفرق بينها، حتى ان احد الباحثين عبّر عن ذلك بقوله(٥) "وهي تعبير عن حس جمالي غامض، ومصطلحات يغلب عليها الانطباع، جرت على السنة النقاد قبله وبعده، يشيرون بها إلى ما يستحسنون ويستهجنون ومراتب الاستحسان والاستهجان".

وعلى الرغم من قيام المبرد بذكر النعوت الكثيرة

---

(١) لم نتعرض لهذا الموضوع في باب الاختصار لتعلقه بالتشبيه.

(٢) الكامل: ١٠٥٤/٢.

(٣) العجاج: ديوان العجاج، ملحق ديوانه: ق١/٤٦، ٤، ٥، ٦، ج٣٠٤/٢، تحقيق: عزة إبراهيم، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ط، د.ت.

(٤) اي أخرج زبده كله. (٥) حمادي صمّود: ص٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للتشبيه ، فقد شعر بكثرتها فقام باختصارها إلى اربعة اضرب، سنذكرها ونحاول قدر الإمكان ردّ باقي النعوت إلى هذه الأربعة ، وندرج الباقي فيما بعد . قال المبرد(١) "والعرب تشبه على اربعة اضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه ، وهو اخشن الكلام".

١) التشبيه المفرط

ويستشهد له المبرد بقوله(٢) "ومن إفراط التشبيه قول ابي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو(٣):

كانّهم يسعوْن في إثر طائر خفيف المشاش عظمه غير ذي غض
يبادر جنح الليل فهو مهابذ يحثّ الجناح بالتبسّط والقبض

ويدخل تحت هذا النوع من التشبيه

أ- التشبيه المفرط المتجاوز

يقول فيه المبرد(٤) "فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسّخيّ : هو كالبحر، وللشجاع: هو كالأسد ، وللشريف: سما حتى بلغ النجم، ثم زادوا في ذلك".

ومثال آخر على ذلك(٥) "وقد قيل ان امرأة عمران بن حطّان قالت له : اما زعمت انك لم تكذب في شعر قط؟! قال: اوَ فعلت؟ قالت: انت القائل(٦):

فهناك مجزاة بن ثو ر كان اشجع من اسامه

---

(١) الكامل: ١٠٣٢/٢ . (٢) الكامل: ٩٤٥/٢ .

(٣) ديوان الهذليين: ١٥٧/٢-١٥٩ ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، د.ط ، ١٩٦٥م.

(٤) الكامل: ١٠٣٢/٢ .

(٥) الكاملك ١٠٣٣/٢ .

(٦) شعر الخوارج، جمع: إحسان عباس، ص١٥٩ ، دار الثقافة ، بيروت، د. ط، ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفيكون رجل أشجع من الأسد؟! قال: أنا رأيت مجزأة بن ثور يفتح مدينة، والأسد لا يفتح مدينة".*

ب- التشبيه العجيب المفرط

يقول فيه المبرد(١) "ومن عجيب التشبيه في إفراط، غير أنه خرج في كلام جيد، وعُني به رجل جليل، فخرج من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُعل لجودة ألفاظه وحسن وصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن قول النابغة يعني حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:(٢)

يقولون حصنٌ ثمّ تأبى نفوسُهم ... وكيف بحصنٍ والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل ... نجوم السماء والأديم صحيح
فعمّسا لليلٍ ثمّ جاء نعيّه ... فظلّ ندي الحيّ وهو ينوح

٢ — التشبيه المصيب

ويستشهد له المبرد بقول سلامة بن جندل(٣):

كأنّ النّعام باض فوق رؤوسهم(٤)

ويقول عنه(٥) "فهذا التشبيه المصيب".

ومثال آخر قوله(٦) "وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب

(*) انظر أيضاً حول هذا النوع من التشبيه، الكامل: ٩٤١/٢، ٩٤١- ٩٤٢، ١٠٣٢.

(١) الكامل: ١٠٣٣/٢.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، ق١/٥٠-٣، ص٢١٣، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٦٨.

(٣) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قبادة، ق١٥/٣، ص١٦٧، المكتبة العربية، حلب، د.ط، ١٩٦٨.

(٤) وعجز البيت [بنهي اللذاذ أو بنهي مخفّف].

(٥) الكامل: ٥٣٣/٢ - ٥٣٤. وجاء هذا البيت قبل باب التشبيه.

(٦) الكامل: ٩٣٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله - ذي الرمة -"(١):

بيضاء في دعج صفراء في نعج كانّها فضّة قد مسّها ذهب

ولم يشر المبرد إلى أنواع اخرى يمكن إدخالها تحت التشبيه المصيب على إكثاره من امثلته.*

٣- التشبيه المقارب

على الرغم من تصنيف المبرد لهذا النوع من التشبيه ضمن الأصناف الأربعة السابقة الذكر، فإنه لم يذكر امثلة للتشبيه المقارب، وإنما ذكر امثلة تدخل في هذا النوع وهي:-

أ- التشبيه المقارب جداً

ومثل له المبرد ببيت لعقبة بن سابق هو(٢):

له بين حواميه نسور كنوى القسب

وقال عنه "فهذا التشبيه مقارب جداً".(٣)

ب- التشبيه الحلو المقارب

وقال عنه المبرد(٤) "ومن حلو التشبيه وقريبه، وصريح الكلام وبليغه قول ذي الرمّة(٥):

ورَملٍ كاوراك العذارى قطعته وقد جلّلته المظلمات الحنادس

"الحندس" الشديد الظلمة، وهو توكيد لها، يقال ليل حندس".

---

(١) ديوان ذي الرمة: ق١/٢٠، ج١/٣٣.

* انظر الكامل: ٢/٩٢٦،٩٣٤،٩٩٢،٩٩٣،٩٩٤.

(٢) البيت له في: الأصمعيات، ق٩/١٤، ص٤١، تحقيق: احمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤.

(٣) الكامل: ٢/١٠١٦.

(٤) الكامل: ٢/١٠١٢

(٥) ديوانه: ق٣٦/٣١، ج٢/١١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- التشبيه البعيد

قام المبرد بشرح هذا النوع من التشبيه شرحاً وافياً ليدلل على صحة مقولته السابقة (١) حول حاجة هذا النوع إلى التفسير، وعدم قيامه بنفسه، وليؤكد حكمه عليه بانه اخشن الكلام. فقال فيه (٢) "وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله (٣):

بل لو رأتني اخت جيراننا إذ انا في الدار كأني حمار

فإنّما أراد الصحة! فهذا بعيد، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره. وقال الله جل وعز (٤) - وهذا البيّن الواضح - (كمثل الحمار يحمل أسفارا) والسّفْر "الكتاب، يقول (مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها) في أنهم قد تعاموا عنها، واضربوا عن حدودها وأمْرها ونهيها، حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها".

وسوف نستعرض باقي النعوت ونحاول تجميعها ما امكن مع بعضها البعض لتبدو زمراً.

٥- التشبيه الحسن

اهتم به المبرد وأكثر من انواعه وامثلته، ولولا الحاجة إلى الدليل لأدخلته في نوع التشبيه المصيب، ولكن الروح العلمية في البحث تابى ذلك. ومن أمثلة هذا النوع عند المبرد قوله (٥) "ومن حسن التشبيه قول عنترة (٦):

غادرن نفلة في معترك يجرّ الأسنّة كالمحتطب

ويشرح المبرد البيت ليبيّن جمال التشبيه بقوله "يقول:

---

(١) انظر باب ضرب التشبيه. (٢) الكامل: ١٠٣٦/٢ - ١٠٣٧.

(٣) البيت لبندار: في تهذيب إصلاح المنطق، للتبريزي، ص٦٤، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، ١٩٨٣.

(٤) سورة الجمعة: ٥/٦٢. (٥) الكامل: ٩٤١/٢.

(٦) ديوان عنترة: ق١/٢٢، ص٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طُعن وغودرت الرماح فيه ، فظلّ يجرّها ، كأنه حامل حطب".*

ويدخل تحت هذا النوع من التشبيه عدة أنواع هي:

أ- التشبيه الحسن جداً

ففي هذا النوع قدم له بقوله (١) "ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول العباس بن الأحنف(٢):

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنّي ذُبالة نُصبت تضيء للناس وهي تحترق

ثم علق عليه بقوله "فهذا حَسن في هذا جداً".**

وهذا النوع من التعليق بأن يقدم للبيت على أنه نوع من التشبيه ويعلق عليه بعد ذلك على أنه نوع آخر ينتشر في باب التشبيه عند المبرد*** مما يؤكد الانطباعية التي تحدثنا عنها في بداية حديث حول التشبيه.

ب- التشبيه الحسن الجامع

ومثل له المبرد بقوله (٣) "ومن حسن التشبيه قول بشار(٤):

وكأنّ تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما ضمّت عليـ ـه ثيابها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع".****

---

* انظر أيضاً في هذا النوع من التشبيه: الكامل: ٢/٩٤٠، ٩٩٥، ١٠١٦-١٠١٧ ، ١٠٥٣-١٠٥٤ .

(١) الكامل: ٢/١٠٥٣ . (٢) ديوان العباس بن الأحنف: ص٢٢١ .

** انظر أيضاً في هذا النوع من التشبيه: الكامل: ٢/٩٣٥-٩٣٦ .

*** انظر الكامل: ٢/٩٣٥ - ٩٣٦ ، ١٠٥٢ - ١٠٥٣ .

(٣) الكامل: ٢/١٠٥٢ - ١٠٥٣

(٤) أبو عبيد البكري: سمط اللآلي ص٢٧٥ - ٢٧٦ ، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، ١٩٣٦ .

**** انظر أيضاً: الكامل: ٢/١٠٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- التشبيه الحسن المليح

ومثل له المبرد بقوله (١): "ومن حسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلاً برثاثة الحال فيقول(٢):

ياتيك في جبّة مخرّقة اطول أعمار مثلها يوم

وطيلسان كالال يلبسه على قميص كانّه غيم"

د- التشبيه الحسن المستطرف

ومثل له المبرد بقوله (٣): "ومن التشبيه الحسن الذي نستطرفه قوله (٤):

تعاطيكها كفّ كانّ بنانها إذا اعترضتها صفّ مداري

هـ- التشبيه المستحسن

ومثل له المبرد بقوله (٥) "ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة (٦):

كانّ إبريقهم ظبي على شرفٍ مقدّم بسبا الكتّان ملثوم

وعلق على البيت بقوله "فهذا حسن جداً".

٦ — التشبيه الجيد

ومثل له المبرد ببيت لأبي نواس، فقال(٧): وله من التشبيه الجيد قوله (٨):

إليك رمتْه بالقوم خوصٌ كانّما

جماجمها فوق الحجاج قبور

---

(١) الكامل: ١٠٥٦/٢ - ١٠٥٣ .

(٢) هو إسماعيل بن ابراهيم الحمدوي: المصون للعسكري، ص٥٣ ، وانظر تخريجها في الكامل. (٣) الكامل: ١٠٤٧/٢ .

(٤) ابو نواس: ديوان ابي نواس، ص٤٣٥، تحقيق: احمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

(٥) الكامل: ٩٣٥/٢ - ٩٣٦ .

(٦) ديوان علقمة، ق:٤٢/٢ ، ص٧٠ ، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

(٧) الكامل: ١٠٤٧/٢ . (٨) ديوان ابي نواس: ص٤٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدخل تحت هذا الضرب من التشبيه :

١- التشبيه المتجاوز الجيد

ومثل له المبرد بقوله (١) "ومن تشبيههم المتجاوز الجيد قول ابي الطمحان القيني(٢):

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه

٧- التشبيه العجيب

وقد مثل له المبرد بقوله (٣) "ومن تمثيل امرىء القيس العجيب قوله (٤):

إذا ما الثريّا في السماء تعرّضت
تعرّض اثناء الوشاح المفصّل

وقد اكثروا من الثريا، فلم ياتوا بما يقارب هذا المعنى، ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ" وقد أكثر المبرد من شواهد هذا اللون من التشبيه*. وقد اشار المبرد إلى نوع من التشبيه يدخل ضمن التشبيه العجيب هو:

أ) أعجب التشبيه

والذي يشدّ الباحث في هذا الموضع هو صيغة التفضيل المستعملة، فعلى الرغم من تناثر اسم التفضيل بشكل كبير جداً في كتابات المبرد فإنه لم يستخدمه في وصف أضرب التشبيه في غير

---

(١) الكامل: ١٠٣٤/٢ .

(٢) هو: حنظلة بن الشرقي، والابيات له في أمالي المرتضى: ٢٧٥/١، وقال عنها إبن قتيبة في الشعر والشعراء: ص٤٧٥، "وبعض الرواة ينحل هذا الشعر ابا الطمحان وإنما هو للقيط بن زرارة".

(٣) الكامل: ٩٢٣/٢ .

(٤) ديوان امرىء القيس: ق٢٤/١ ، ص١٤ ، وهو من معلقته .

* انظر: الكامل: ٩٢٣/٢، ٩٢٤، ٩٢٥ - ٩٢٦، ٩٤٠، ١٠٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الموضع. ولقد يعود ذلك لشدة إعجابه بالأبيات.

ومثل له المبرد بابيات للنابغة منها قوله (١):

"ومن أعجب التشبيه قول النابغة (٢):

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أنّ المنتاى عنك واسع*

٨- التشبيه المليح

ولقد مثل له المبرد بقوله (٣) "ومن التشبيه المليح قوله (٤):

وكانّ سُعدى إذ تودّعنا وقد اشرابّ الدمع أن يكِفا

رشا تواصين اللّيان به حتى علَتدن بانفِه شنفا"**

٩- التشبيه الجامع

ومثل له المبرد بقوله (٥) "ونظيره - التشبيه الجامع - في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد (٦):

تمضي المنايا كما تمضي اسنّته

كانّ في سرجه بدراً وضرغاما"(٧)

١٠- التشبيه المحمود

ومثل له المبرد بقوله (٨) "ومن التشبيه المحمود قول

---

(١) الكامل: ٩٢٣/٢ . (٢) ديوان النابغة: ق٣٠/٣ ، ص٥٢ .

* انظر أيضاً: الكامل: ٩٢٣/٢ ، ٩٢٤ .

(٣) الكامل: ١٠٤٧/٢ . (٤) هو ابو نواس: ديوانه: ص٤٣٢ .

** انظر أيضاً: الكامل: ١٠٥٥/٢ .

(٥) الكامل: ١٠٥٣/٢ .

(٦) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد: ق:١٩/٦ ، ص٦٥، تحقيق: سامي الدهان، دار المعارف، الطبعة الثالث، د.ت.

(٧) استشهد المبرد بالشطر الثاني فقط، والبيت كاملا في الكامل: ٩٤٣/٢ . (٨) الكامل: ٩٣٠/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر(١):

طليق الله لم يمنن عليه ابو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلّب طرفها حذر الصقور
وهذا غاية في صفة الجبان".

١١ — التشبيه المستطرف

ومثل له بقوله(٢) "ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار(٣):

كأنّ فؤاده كرة تنزّى حذار البين إن نفع الحذار

واستشهد باقوال الشعراء المحدثين هنا* وعلق على قطعة شعرية في هذا المجال بقوله(٤) "فهذه قطعة من التشبيه غاية، على سخف كلام المحدثين" مما يؤكد القول حول موقفه من الشعر المحدث الذي سبق الكلام حوله.

١٢ — التشبيه القاصد الصحيح

ومثل له المبرد بقوله(٥) "ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة(٦):

وعيد أبي قابوس في غير كنهه
أتاني ودوني راكسٌ فالضواجعُ
فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ
من الرقش في انيابها السمّ ناقع

---

(١) هو إمام بن اقرم النميري. والبيتان له في البيان والتبيين ٣٨٦/١ .
(٢) الكامل: ٩٤٢/٢ .
(٣) ديوان بشار: ٢٤٨/٣-٢٤٩ ، والشعر والشعراء: ص٥١٣ .
* انظر الكامل: ٩٤٢/٢ - ٩٤٥ .
(٤) الكامل: ٩٤٣/٢ . (٥) الكامل: ١٠٣٤/٢ - ١٠٣٥ .
(٦) ديوان النابغة: ق١٠/٣ - ١٣ ، ص٤٥ - ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُسهّد من ليل التمام سليمها

لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمّها

تطلّقه طوْراً وطوْراً تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم، وذلك ان المنهوش إذا ألحّ الوجع به تارة وامسك عنه تارة فقد قارب ان يؤنس برْؤه. وإنما ذكر خوفه من النعمان، وما يعتريه من لوعة إثر فترة، والفترة سيما الخائف، ولا ينام إلا غراراً، فلذلك شبّه بالملدوغ المسهّد". وقد نقلنا كل ذلك لتتضح الصورة، وكيف ان المبرد يقوم بالشرح والتوضيح للتشبيه في موضع ولا يعود لذلك مرة اخرى.

١٣ -- التشبيه المعكوس

على الرغم من غزارة النعوت التي أطلقها المبرد على الوان التشبيه، وتصريحه أن التشبيه باب كانه لا آخر له، فقد راى البعض ان المبرد لم يشر إلى ما سُمي بالتشبيه المعكوس وبرّر للمبرد ذلك بقوله (١):

"وربما يكون المبرد قد تركه لأن الحديث عن التشبيه بكافة اقسامه على حد قوله (المبرد) لا ينتهي". وسوف أوضح ان المبرد قد أشار إلى ذلك.

بالنظر إلى ما ذكره ابن جنيّ في الخصائص تحت باب(٢) "غلبة الأصول على الفروع"، وإدخاله التشبيه المعكوس فيه، ويرى ان هدف التشبيه المعكوس المبالغة ويستشهد بقول ذي الرمة (٣):

ورمل كاوراك العذارى قطعته

---

(١) عبد القادر حسين: اثر النحاة: ص٢١٦.

(٢) ٣٠٠/١. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ١٩٥٢م.

(٣) ورد البيت في التشبيه الحلو الغريب: ص٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن جني(١) "افلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلا. والعادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز السناء بكثبان الأنقاء، فقلب ذو الرمة العرف والعادة في هذا".

ومن الملفت للنظر أن ابن جني قد استخرج هذا النوع من التشبيه من ذات البيت الذي ذكره المبرد في حلو التشبيه وقريبه ومريح الكلام(٢). مما يجعلنا نرجّح أن المبرد قد التفت إلى هذا اللون من التشبيه، وإن أطلق عليه اسماً مختلفاً؛ فالمبرد ينطلق من ذوقه الفني في إطلاق النعوت، ولا عليه - وهو من الرّواد - إن تغيّر اسم المصطلح.

- تشبيهات عربية

لم يكتف المبرد بتعداد انواع التشبيه المختلفة، بل رصد مجموعة كبيرة من تشبيهات العرب مما توافق على استعماله الناس، ودرجوا على ذكره. يقول حول ذلك(٣) "وقد وقع على السن الناس من التشبيه المستحسن - وعن أصل أخذوه أن يُشبّهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي او البقرة الوحشية، والأنف بحدّ السيف، والفم بالخاتم، والشّعر بالعناقيد، والعنق بإبريق فضة، والساق بالجمّارة، فهذا كلام جار على الألسن".

وذكر المبرد العديد من الأمثلة النثرية والشعرية على كل ذلك وزاد عليه. ونذكر مثالاً مما ذكره المبرد للتدليل على ذلك، وهو قوله(٤) "قال سراقة بن مالك بن جعشم: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان في غرزه كانّهما جمّارتان، ..."(٥).

---

(١) الخصائص: ١/٣٠٠.

(٢) انظر: حمادي صمّود: ص٣٦٧.

(٣) الكامل: ٢/١٠٣٧ - ١٠٣٨.

(٤) الكامل: ٢/١٠٣٨.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٣٥، تحقيق: مصطفى السقا وصحبه، دار إحياء التراث العربي. د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة الشعرية التي ذكرها المبرد قوله (١) "وعين الإنسان مشبّهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور، وشعرهم المنظوم، قال الشاعر (٢):

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكنّ عظم الساق منك دقيق

ومن التشبيهات التي ذكرها ايضا قوله (٣):

"ويقال للخطيب كانّ لسانه مبرد. فهذا الجاري في الكلام، كما يقال للطويل: كانه رمح. ويقال للمهتز للكرم: كانه غصن تحت بارح".

ومن خلال الدراسة تبيّن أن أكثر ما ذكره المبرد من التشبيهات وقع حول الناقة وما يتعلق بها وكذلك حول المراة وجمالها. ولعل إكثار المبرد من ذكر هذه التشبيهات نابع من دراسته للشعر العربي، ودرايته به. وسنذكر مثالا لكل منهما لتوضيح ذلك.

قال المبرد (٤) "ومن التشبيه المطّرد على السنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها... قال الشمّاخ (٥):

كانّ ذراعيها ذراعا مُدلّة
بعيد السّباب حاولت ان تعذّرا
من البيض أعطافا إذا اتّصلت دعت
فراس بن غنمٍ او لقيط بن يعمَرا
بها شَرَق من زعفران وعنبر
أطارت من الحسن الرّداء المحبّرا

---

(١) الكامل: ١٠٣٨/٢ .

(٢) هو المجنون: ديوان المجنون: ص٢٠٧ ، جمع وتحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة مصر، القاهرة، د.ط ، د.ت.

(٣) الكامل: ١٠٣٩/٢ .

(٤) الكامل: ١٠٠٥/٢ - ١٠٠٨ .

(٥) ديوان الشمّاخ: ق٥: ١٥،١٩،٢٠،٢١،٢٢،٢٣ ص:١٣٤ - ١٣٧ ، تحقيق: صلاح الدين الهسادي، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول وقد بلّ الدموع خمارها

أبى عطّتي ومنْصبي ان أعيّرا

كأنّ بذفراها مناديل قارفت

أكفّ رجالٍ يعْصِرون المسّنوّبرا

كأنّ ابن آوى موشق تحت غرضها

إذا هو لمْ يتكْلَم بنابيه ظفّرا

وقد علّق المبرد على هذه القطعة الفنية ووضحها بقوله (١) "شبّه يديها بيدي مُدلّة بجمال ومنصب قد سابّت واقبلت تعتذر وتشير بيدها، فوصف جمالها الذي به تُدلّ، ومنصبها المتصل بمن ذكرته".*

واما حول المرأة وما جاء في تشبيهها، فنذكر مثالاً مما اورده المبرد وذلك قوله (٢) "وقال الأعرابي(٣):

وخُلّة مسكٍ من نساء لبستُها

شبابي وكاسٍ باكرتني شُمولها

جديدة سِربال الشباب كانّها

اباءة بردي سلختْها غُيولها

محمّلة باللحم من دون خصرها

تطول القصارَ والطّوال تطولها

"وإنما شبّه المرأة بالبرْدية والقصبة لنقاء اللون ورقّته".**

---

(١) الكامل: ١٠٠٦/٢ - ١٠٠٨ .

* انظر ايضاً حول الناقة: الكامل: ١٠٠٥/٢ - ١٠٠٦ ، ١٠٠٦، ١٠٠٨ - ١٠٠٩، ١٠٠٩-١٠١٠ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ .

(٢) الكامل: ٨٥٨/٢ - ٨٥٩ .

(٣) هو عبدالله بن العجلان النهدي، كما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١٢٥٩/٣ ، تحقيق: أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧ .

** انظر ايضاً: الكامل: ٣٨٦/١ ، ٣٨٧ ، ٨٦٩/٢ - ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين

وقد أراد المبرد في هذه القضية كسب الرأي إلى جانبه، فجاء لذلك بما أجمع عليه الرواة، باب التشبيه، وذلك قوله (١) "فاحسن ذلك ما جاء بإجماع الرّواة: ما مرّ لامرىء القيس في كلام مختصر، في بيت واحد، من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين وهو قوله (٢):

كانّ قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

ولعل من أسباب تفضيل المبرد لهذا البيت هو الاختصار الشديد والتكثيف في المعنى مع الاحتفاظ بالرونق والجمال والدقة.

- تشبيه الحاضر بالغائب

وهذه القضية من جملة القضايا التي أثارها الملحدون حول القرآن الكريم، وقد قام المبرد بالرد على هذه التهمة، ووضح المقصود منها، وذلك قوله (٣) "قال الله عز وجل وله المثل الأعلى: "الزجاجة كانّها كوكب درّيّ (٤)"، وقال "طلعها كانّه رؤوس الشياطين(٥)". وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية، فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل؟! فهؤلاء في هذا القول كما قال الله جلّ وعز: "بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله"(٦). وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما: أن شجراً يقال له "الأستن" منكر الصورة يقال لثمره "رؤوس الشياطين"، وهو الذي ذكره النابغة في قوله (٧):

---

(١) الكامل: ٩٢٢/٢ . (٢) ديوان امرىء القيس: ق٥١/١، ص٣٨ .

(٣) الكامل: ٩٩٦/٢ . (٤) سورة النور: ٣٥/٢٤ .

(٥) سورة الصافات: ٦٥/٣٧ . (٦) سورة يونس: ٣٩/١٠ .

(٧) ديوان النابغة: ق٢٣/١٣، ص١١١ . والصدر فقط موجود عند المبرد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحيد من أستن سود اسافله

(مثل الإماء الغوادي تحمل الحزما)

وزعم الأصمعي ان هذا الشجر يسمى "الصوم". والقول الاخر - وهو الذي يسبق إلى القلب - أن الله جل ذكره شنّع صورة الشياطين في قلوب العباد، فكان ذلك ابلغ من المعاينة، ثم مثّل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس". ثم ذكر المبرد قصة طويلة بين ابي النجم العجلي وهشام، وأورد فيها أبياتاً ليوضح المقصود من الآية والأبيات هي(١):

كأنّ ظَلامة اختَ شيبان يتيمةٌ ووالداها حيّان

الرأس فمثل كلّه وصئبان وليس في الرجلين إلا خيطان

فهي التي يُذعر منها الشيطان

يقول المبرد بعد الأبيات(٢): "افلا تراه قال: "فهي التي يُذعر منها الشيطان" وإن لم يره، لما قُرّر في القلوب من نكارته وشناعته"*. فالمبرد بهذا الشرح المستفيض يبين بشكل عملي دور البلاغة في الدفاع عن القرآن الكريم.

بعد هذه الدراسة لمبحث التشبيه عند المبرد يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك حرص المبرد على إعطاء صورة عملية للتشبيه وضرورة توظيفه في خدمة اهداف عملية، وقد مرّ معنا ان الكامل وغيره من كتب المبرد قد عملت على تحسين الأداء الأدبي لمن يتطلع للمناصب العليا من طلاب العلم والسياسة.

كما لاحظت التداخل الشديد بين المصطلحات والنعوت التي كان يطلقها المبرد بحكم التدريس والإلقاء على طلبة العلم. ولعل وجود كم هائل من الأبيات الشعرية التي لم يبين المبرد نوع التشبيه فيها واكتفى بقوله: "وفيها من التشبيه" ما يعتبر تمارين عملية للطلبة والقراء من بعدهم.

---

(١) الأبيات لأبي النجم العجلي: انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٠٣.

(٢) الكامل: ٩٩٩/٢.

* انظر ابياتا اخرى: الكامل: ٩٩٩/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ — الكناية

تحدث المبرد عنها بشيء غير قليل، وفصّل في أنواعها وأهدافها، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد التشبيه في اهتمام المبرد. ولم يفرد لها المبرد باباً مستقلاً، كما فعل في التشبيه، وإنما جاءت خلال حديثه عن ضروب الكلام وأقسامه، فيقول(١): "والكلام يجري على ضروب: فمنه ما يكون لنفسه، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلاً، فيكون أبلغ في الوصف".

ونستطيع القول إن المبرد يضع الكناية في المنتصف بين الكلام الصريح الواضح وبين المثل البليغ المعبر.

والكناية كذلك ليست نوعاً من الزخرف اللفظي عند المبرد، إنما هي جزء أصيل من أضرب الكلام المستعمل في لغة الفصحاء.

- أنواع الكناية

تحدّث المبرد عن الكناية بنوعيها وهما:

أ- الكناية اللغوية.

ب - الكناية الاصطلاحية.

وسنفصل الحديث حولهما:

أ- الكناية اللغوية

شغلت الجانب الأكبر من الكناية وقسمها إلى ثلاثة أقسام هي:

١- التعمية والتغطية (٢)

وأورد لهذا النوع من الكناية قول النابغة الجعدي(٣):

أكني بغير اسمها وقد علم الـ ـ له خفيّات كلّ مكتتم

وأشار المبرد إلى الجانب النفسي في الكناية،

---

(١) الكامل: ٢/٨٥٥. (٢) الكامل: ٢/٨٥٥.

(٣) شعر النابغة الجعدي: ق١٠/١٥، ص١٥٠، تحقيق: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالنفس تستريح للتصريح، وتكني للإخفاء والتعمية. فقال(١) "وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية(٢):

أحبّ المكان القفر من أجل أنّني

به أتغنّى باسمها غير معجم

كما أشار المبرد إلى الجانب الاجتماعي في الكناية، فالكناية جُنّة تقي الفتاة المتغزّل بها من الفضيحة والأقاويل، فلا يعلم أحد المقصود بالنسيب إذا استعمل الكناية، وذلك قول المبرد(٣): "قال أحد القرشيين(٤):

وقد ارسلتُ في السرّ أن قد فضحتني

وقد بحثت باسمي في النسيب ولم تكْني

ومن هذا النوع الكنايات عن الخبر، وهي التي يعدل بها عن التصريح لغاية مقصودة عند القائل، يقول المبرد(٥) "فأما ذيتَ وذيت وذيّة، فإنما هي كنايات عن الخبر، كما يكنى عن الاسم المعروف بفلان، وعن العدد بان يقول: كذا وكذا".

٢- الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره.

وعدّ المبرد هذا النوع من الكناية احسن الأنواع وافضلها(٦). وذلك لما فيها من ارتقاء بالنفس، وصيانة للسان عن الألفاظ الخسيسة الموضعة للمثقلة. وقد اورد المبرد امثلة عدة لهذا النوع منها قوله(٧) "ومن ذلك قولهم: "جاء فلان من

---

(١) الكامل: ٨٥٥/٢.

(٢) ديوان ذي الرمة: ق١٢/٣٨، ج١١٧٢/٢.

(٣) الكامل: ٨٥٥/٢.

(٤) هو محمد بن نمير الثقفي: شعراء أمويون: ١٣٤/٣، تحقيق ودراسة: نوري حمودي السعيد، القسم الثالث، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، ١٩٨٢م.

(٥) المقتضب: ١٨٣/٣.

(٦) الكامل: ٨٥٦/٢.

(٧) الكامل: ٨٥٧/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغائط" كناية عن الحدث، وإنما الغائط الوادي، قال عمرو بن معدي كرب(١):

وكم من غائطٍ من دون سلمى قليل الإنس ليس به كتيع"

ومثال آخر قوله(٢) "قال الله جل وعز في المسيح ابن مريم وأمّه صلى الله عليهما: (كانا ياكلان الطعام)(٣)، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة" وأورد المبرد كذلك قوله تعالى(٤): (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) وقال عنها(٥) "وإنما هي كناية عن الفروج" وبعد أن ذكر المبرد الأمثلة الكثير هنا وفي مواضع أخرى(٦). قال للدلالة على كثرة انتشار هذا النوع من الكناية في الكلام(٧) "وهذا كثير" في إشارة إلى صعوبة حصر الكنايات التي تقع هنا.

٣- التفخيم والتعظيم

وشرح المبرد هذا النوع بقوله(٨) "ومنه اشتقّت الكنية" وهو أن يعظّم الرجل أن يُدعى باسمه"، ويرى المبرد انها وقعت في الكلام على ضربين هما "وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد فيدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمه". وهذا النوع من الكناية فيه خلق اجتماعي عظيم، يؤدي التعامل به إلى المودة والاحترام بين أفراد المجتمع، والألقاب العلمية والأدبية التي تنتشر في مجتمعنا الحديث تدخل تحت هذا النوع من الكناية.

---

(١) شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ق٢٩/٤٤، ص١٤٦، جمع وتنسيق: مُطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

(٢) الكامل: ٨٥٧/٢.

(٣) سورة المائدة: ٧٥/٥.

(٤) سورة فصّلت: ٢١/٤١.

(٥) الكامل: ٨٥٧/٢.

(٦) انظر الكامل: ٦٥٥/٢ - ٦٥٧.

(٧) الكامل: ٧٥٧/٢.

(٨) الكامل: ٧٥٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الكناية الاصطلاحية

عرض المبرد نماذج كثيرة، تدخل تحت باب الكناية الاصطلاحية، وإن لم يقسمها التقسيمات التي وضعها اللاحقون من البلاغيين، وإنما نضعها تحت تقسيماتهم للتوضيح وبيان الفضل لأصحابه.

١- كناية عن صفة

ويورد المبرد قطعة شعرية طويلة للدلالة على الكناية لصفة ننقلها بتمامها. وهي لشاعر معاصر له، وذلك قوله (١):

"أنشدني عُمارة بن عقيل لنفسه يحضّ بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة على بني نمير بن عامر بن صعصعة، وبينهم مطالبات وترات، وكانت بنو نمير أعداء عمارة، فكان يحضّ عليهم السلطان، ويغري بهم إخوتهم، ويحاربهم في عشيرته فقال:

رأيناكما يا ابني ربيعة خرتما
لعضّ الحروب والعديد كثير
وصدّقتما قول الفرزدق فيكما
وكذّبتما ما كان قال جرير
أصابت نمير منكم فوق قدرها
فكلّ نميريّ بذاك أمير
فإن تفخروا بما مضى من قديمكم
فقد هُدّمت مدائن" وقصور
رمتها مجانيق العدوّ فقوّضت
مدائن منها كالجبال وسور
وشيّدها الأملاك كسرى وهُرمز
وآل هرقلٍ حقبةً ونضير
فإن تعمروا المجد القديم فلم يزل
لكم في مُضرّات الحروب ضرير
خبطتثم لُبيوث الشام حتى تناذرت
حماكم وحتى لا يهرّ عَقور

---

(١) الكامل: ١/٢١٠ - ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكيف باكتناف الشّريف تلصيبكم

شعالب يبحثن الحصى وأبور

مثل، يريد أن مجدكم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب".*

٢ — كناية عن موصوف

وأورد له المبرد أمثلة عدة**، منها قول الحسن ابن هانيء (١) يمدح محمداً الأمين:

سبط البنان إذا احتبى بنجاده

غمر الجماجم والسماط قيام"(٢)

والبيت كناية عن كرمه بانه سخي كريم((٣)

٣ — كناية عن نسبة

وأورد لها المبرد أمثلة منها قول الشاعر(٤):

وهم قوم" كرام الحيّ طُرّا

لهم خول" إذا ذُكر السّناء

ويعلق بقوله (٥) "والسناء" من المجد" والكناية هنا العز والعظمة (٦).

كما نشاهد نماذج جمع فيها بين الكناية عن صفة ونسبة منها قوله (٧) "والعرب تمدح بالطول، وتضع من القصر، قال عنترة (٨):

---

* انظر ايضاً: الكامل: ١/٢١١-٢١٢ .

** انظر الكامل: ٢/١٠٤٠ - ١٠٤٤ .

(١) ديوان ابي نواس: ص٤٠٩ . (٢) الكامل:٢/١٠٤٣ .

(٣) ابو الحسن، عبدالله الخطيب، ص٤٤٢ .(٤) اللسان: (سنا)

(٥) الكامل: ٢/١٠٤٣ .

(٦) ابو الحسن: عبدالله الخطيب، ص٤٤٢ .(٧) الكامل: ١/١٢٣ .

(٨) ديوان عنترة: ق١/٦٠ ، ص:٢١٢ ، والبيت من المعلقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطل كانّ شيابه في سرحةٍ يُحذى نعال السبت ليس بتوام
لم يشارك بالرحم" وهذا كناية عن الطول والتفرد بالمجد.

"وقد يذكر المبرد ما يفيد الكناية على أنه من باب الكناية لشهرته واكتفاء بما ذكره السابقون من أئمة البلاغة".(١)

- من ألفاظ الكناية

ويشير المبرد إلى ألفاظ الكنايات عند العرب، فالعرب تكني عن المرأة بالبقرة والنعجة والشاة.(٢) ويورد شواهد شعرية عديدة لذلك(٣)، منها قول الراعي(٤):

ومُرسلٍ ورسولٍ غيرِ متّهمٍ
وحاجة غير مزجاةٍ من الحاجِ
طاوعته بعدما طال النجيّ بنا
وظنّ أنّي عليه غيرُ منعاج
ما زال يفتح أبواباً ويغلقها
دوني وافتح باباً بعد إرتاج
حتى اضاء سراج" دونه بقرٌ"
حُمر الأنامل عين طرفها ساج
يا نُعمها ليلةً حتى تخوّنها
داعٍ دعا في فروع الصبح شحّاج
لمّا دعا الدعوة الأولى فاسمعني
أخذْت بُردي واستمررت ادراجي

يعلق المبرد(٥) "وقوله: "حتى اضاء سراج دونه بقرٌ" يعني

---

(١) عبد القادر حسين، اثر النحاة، ص٢١٠.
(٢) الكامل: ٣٦٨/١-٣٧٠، ٧٨٥/٢ - ٧٨٧.
(٣) الكامل: ٣٧٠/١، ٧٨٥/٢-٧٨٧، ٧٨٨-٧٩١.
(٤) ديوان الراعي: ق:١١/٤،٥،٦،٧،١١،١٢، ص٢٨ - ٢٩.
(٥) الكامل: ٣٧٠/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نساء، والعرب تكني عن المرأة بالبقرة والنعجة".

وللكناية عن المرأة بالنعجة يورد المبرد قول الله عز وجل(١) "إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة"(٢).

وللكناية عن المرأة بالشاة يورد قول الأعشى(٣)

فرميت غفلة عينه عنْ شاته

فأصبت حبّة قلبها وطحالها(٤)

ومن ألفاظ الكناية أيضا عند المبرد قوله(٥) "ويكون النكاح الجماع، وهو في الأصل كناية قال الراجز(٦):

إذا زنيت أجدْ نكاحاً وأعْمِل الغدوّ والرواحا"

ويرى المبرد ان الكناية تقع عن هذا الباب [الجماع] كثيراً ويذكر من ألفاظ الكناية فيها قول الله عز وجل(٧) "أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" ويقول(٨) "فهذه كناية عن الجماع".

ومن الألفاظ التي يذكرها المبرد للكناية كذلك قول الله عزّ وجل(٩) "كانا ياكلان الطعام"، يقول المبرد(١٠) "كناية بإجماع عن قضاء الحاجة، لأن كلّ من أكل الطعام في الدنيا انجى، يقال أنجى: إذا قام لحاجة الإنسان".

ومن ألفاظها كذلك قول الله عز وجل(١١) "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا" يقول المبرد(١٢) "كناية عن الفروج".

---

(١) سورة ص: ٢٣/٣٨ .

(٢) الكامل: ٣٧٠/٢ .

(٣) ديوان الأعشى: ق٧/٣ ، ص٦٣ ، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٦٨م.

(٤) الكامل: ٣٧٠/٢ .

(٥) الكامل: ٦٥٦/٢ - ٦٥٧ .

(٦) لم أجد شيئا حوله.

(٧) سورة البقرة: ١٨٧/٢ .

(٨) الكامل: ٦٥٦/٢ .

(٩) سورة المائدة: ٧٥/٥ .

(١٠) الكامل: ٦٥٧/٢ .

(١١) سورة فصلت: ٢١/٤١ .

(١٢) الكامل: ٦٥٧/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الكناية و الفقهاء

ارتبطت الكناية عند المبرد اشد الارتباط بالعامل الأخلاقي والمقاييس الاجتماعية التي كانت سببا في نشاتها. وإضافة إلى منهج المبرد في البحث عن اللفظ الشريف، والمعنى الفخم، والأسلوب الشائق، فهو قد تجاوز حد الدراسات البيانية إلى الدراسات الفقهية، وربط بين الاتجاهات اللغوية والتشريعية (١)، فهو يناقش الفقهاء، ويوافقهم ويخالفهم تبعا لتقديره للكناية. وللتمثيل على ذلك نذكر قوله (٢) "قال اكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى(٣) (او لامستم النساء)، قالوا: كناية عن الجماع" ولكن المبرد لا يرى في الاية كناية. وإنما يرى الملامسة في ما دون ذلك فيقول "وإنما الملامسة ان يلمسها الرجل بيد، أو بإدناء جسد من جسد، فلذلك ينقض الوضوء في قول اهل المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب (او لامستم النساء)". ويقول في قوله تعالى (كانا ياكلان الطعام) "كناية بإجماع عن قضاء الحاجة" وواضح ان الإجماع يقصد به إجماع الفقهاء واللغويون، لأنه في المثال السابق خالف اكثر الفقهاء، وهنا يتوافق معهم.

وبعد العرض نرى ان المبرد قد وظّف الكناية هنا لخدمة هدف عملي يتعلق بالتشريع الرباني، وبيّن أن الاختلاف في فهم وتفسير الكناية يؤدي إلى اختلاف في حكم القضية المطروحة، وقد افاض الفقهاء في شرح واستحضار الأدلة عليها في كتبهم كل حسب فهمه للكناية.

---

(١) ابو الحسن عبد الله الخطيب، ص٤٥ .

(٢) الكامل: ٦٥٦/٢ .

(٣) سورة النساء: ٤٣/٤ ، وسورة المائدة: ٦/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ — الاستعارة

نظرة المبرد للاستعارة غير محددة المعالم، فهو لم يفصل القول فيها كما فعل في التشبيه والكناية، "وإشارته إليها تكاد تكون إشارة لغوية لا اصطلاحية(١)"، وجاء كلام المبرد حول الاستعارة خلال حديثه العام حول أبيات شعرية، أو آية قرآنية، وبهذا يكون المبرد قد أراد "أن الفاظاً أو عبارات أو أبيات قد اجتازت معناها، وموضعها الأصلي، واستعملت في معنى أو موضع آخر"(٢). وقد اكتفى المبرد بهذا القدر من الشرح فهو "لم يشر إلى العلاقة بين المعنيين، كما لم يبين فائدة النقل".(٣)

وللتمثيل على الاستعارة عند المبرد، نذكر شرحه لبيت الراعي(٤):

يا نعمها ليلة حتى تخوّنها

داعٍ دعا في فروع الصبح شحّاج

يقول المبرد(٥) "وقوله "شحّاج" إنما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبغل، والعرب تستعير من بعض لبعض" فعبارة المبرد الأخيرة تدل بقوة على المعنى اللغوي، ولعل هذه العبارة هي أوضح ما قال في ذلك. وإن كانت تعدّ مصدراً هاماً لكل ما قيل في الإستعارة.

ولم يكتف المبرد بقوله حول "شحاج" بل أورد شواهد شعرية لتأكيد قوله، منها قوله(٦) "قال العجاج ينعت حماراً(٧):

---

(١) مجيد عبد الحميد ناجي، ص٢٢٧ .

(٢) أحمد عبد السيد الصاوي، ص٣٠ .

(٣) محمود السيد شيخون، الاستعارة، نشأتها - تطورها - أثرها في الأساليب العربية، ص١١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ .

(٤) مرّ البيت سابقاً، ص٧٠ .

(٥) الكامل: ٣٧١/١ . (٦) الكامل: ٣٧١/١ .

(٧) ديوان العجاج: ق٣٣/٨٠،٨١ ص٣٧٣-٣٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانّ في فيه إذا ما شججا

عوداً دوين اللّهوات مولجا"

هذا عن الحمار، ويورد المبرد شاهداً آخر استعمل فيه "الشحاج" للغراب، وهو قول جرير(١):

إنّ الغراب بما كرهت لمولع"

بنوى الأحبّة دائم التّشحاج(٢)

وسوف نذكر بعضاً مما جاء عن المبرد حول الاستعارة، وإن كانت إشارات، وسوف نضع لها عناوين لتوضيحها:

١ — الاستعارة التبعية

وهي التي تقع في الأفعال والحروف(٣)، ولم يسمّها المبرد بهذا الاسم، وإنما ذكر معناها عند حديثه عن حروف الخفض، فقال(٤): "وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع"، واستشهد ببعض الآيات القرآنية والأقوال والأبيات الشعرية. منها قوله تعالى(٥) "ولأصلّبنّكم في جذوع النخل" وعلّق على الآية بقوله(٦) "أي "على" ولكنّ الجذوع إذا احاطت دخلت "في" لأنها للوعاء، يقال "فلان في النخل" اي قد احاط به".

ومن شواهده الشعرية قول الشاعر(٧):

هم صلبوا العبديّ في جذع نخلة

فلا عطست شيبان إلا باجدعا

---

(١) ديوان جرير: ق١١/٣ ، ج١/١٣٦ . (٢) الكامل: ٢/٣٧١ .

(٣) احمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ١/١٤٨، المجمع العلمي العراقي، د. ط، ١٩٨٣ .

(٤) الكامل: ٢/١٠٠٠-١٠٠١ .

(٥) سورة طه: ٢٠/٧١ . (٦) الكامل: ٢/١٠٠٠ .

(٧) هو سويد بن أبي كساهل اليشكري، انظر شرح أبيات مغني اللبيب: ٤/٦٢-٦٥ . ونسب البيت لقراد بن حنش الصادري في الحماسة البصرية ١/٨٠ . وانظر أدب الكاتب، ص٥٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذكره للشواهد يعلق بقوله (١) "وهذا كثير جداً" مما يشير إلى انتشار الظاهرة بشكل كبير في الأساليب البلاغية.

كما تحدث المبرد عن ذات الموضوع في مواضع عديدة من المقتضب، منها قوله (٢) "وقد يتسع القول في هذه الحروف؛ نحو قولك: زيد ينظر في العلم، فصيّرت العلم بمنزلة المتضمن، وإنما هذا كقولك: قد دخل عبدالله في العلم، وخرج مما يملك".*

وعدّ بعض الباحثين المبرد من أوائل الرواد في هذا اللون من الاستعارة، فقال(٣) "إن المبرد هو أول من أشار إلى الاستعارة في الحرف".

٢ — الفاعل على وجه الاستعارة

تحدث المبرد عن هذا النوع من الاستعارة في المقتضب عند حديثه عن تعدي الفعل، فقال(٤) "ونحو آخر لا يتعدى الفعل فيه الفاعل، وهو للفاعل على وجه الاستعارة" وقسّم المبرد هذا النوع إلى قسمين هما:

الأول: سقط الحائط، وطال عبدالله، وهما في الحقيقة لم يفعلا شيئا.

الثاني: فعل المطاوعة، مثل: كسرته فانكسر، وشويته فانشوى، وقطعته فانقطع.

ووافح من كلام المبرد وتفصيله بُعد نظره ودقته في هذا الموضوع.

---

(١) الكامل: ١٠٠١/٢ .

(٢) المقتضب: ١٣٩/٤ .

* انظر أيضاً المقتضب: ٣١٩/٢ .

(٣) احمد عبدالسيد الصاوي: ص٢٩-٣٠ .

(٤) المقتضب: ١٨٨/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis D

٣ — الاستعارة التهكمية

ويسميها البعض "الاستعارة التمليحية" وهي(١): "استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة"، واورد المبرد امثلة لها دون إطلاق اسم المصطلح عليها، فقال(٢) "إنّما شفاء زيد السيف، وإنما تحيّته الشّتم، اي هذا الذي اقامه مقام التحية"، واورد لها قول الشاعر(٣)

وخيلٍ قد دلفت لها بخيل تحيّة بينهم ضربٌ وجيع

ويقول المبرد بعد ذكر هذه الشواهد(٤) "فهذا كلام مفهوم" مما يؤكد استغناءه عن الشرح والتوسع لفهمه وسهولته.

٤ — الاستعارة والمثل

تحدث المبرد عن المثل في اكثر من موضع، وحديثه "ياتي بمعنى المجاز والاستعارة"(٥)، ومن ذلك قول المبرد في قوله صلى الله عليه وسلم "الموطئون اكنافا"(٦)، "مثل". وحقيقته ان

---

(١) احمد مطلوب: معجم المصطلحات: ١٥٨/١ .

(٢) المقتضب: ٢٠/٢ .

(٣) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي، شعره، ق١/٤٤ ، المختلط، ص١٤٩ .

(٤) المقتضب: ٢٠/٢ .

(٥) عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، ص٤١ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

(٦) احمد بن حنبل: مسند الإمام احمد بن حنبل: ١٩٣/٤-١٩٤ . من رواية ابي ثعلبة الخشني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، د. ط، د.ت، وايضاً انظر: الجامع الصحيح للترمذي، في كتاب البر والصلة برقم ٢٠١٨ من حديث جابر تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: فلان في كنف فلان، كما يقال: فلان في ظل فلان، وفي ذرى فلان، وفي حيّز فلان".(١)

وبعد هذا العرض لبعض جوانب الاستعارة عند المبرد يتبين لنا أن الاستعارة عنده تتجه نحو اللغة مع بعض التجديد، خاصة عند الحديث عن الحروف.

٤ — المجاز

تكلم المبرد عن المجاز المرسل في أماكن متعددة، دون ان يفرد له مكاناً مخصصاً، او يسميه باسمه الاصطلاحي المعروف، وإنما جاء حديث المبرد حول المجاز من خلال الحديث وتنوعاته التي تكثر عند المبرد.(٢)

ويمكن القول إن معنى المجاز عند المبرد هو التفسير، وما يعبر به عن معنى الاية(٣). واستعمل المبرد كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي(٤). ويعتبر مفهوم المجاز عند المبرد مفهوماً عربياً خالصاً غير متاثر بالمفهوم الإغريقي.(٥)

وتعتبر إشارات المبرد إلى المجاز العقلي انها جاءت عن طريق الشواهد.(٦)

ونستطيع القول إن عرض المبرد للمجاز جاء على نهج سيبويه الذي حصره على السعة، وحذف المضاف، غير انه اضاف عنصراً جديداً إلى راي سيبويه وهو عنصر المبالغة.(٧)

---

(١) الكامل: ١/٦-٧ .

(٢) عبد القادر حسين، اثر النحاة، ص٢٠٧ وما بعدها.

(٣) احمد مطلوب: معجم المصطلحات، (المجاز): ٣/١٩٥ .

(٤) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص٦٠ .

(٥) مجيد عبد الحميد ناجي، ص٢٣٧ .

(٦) عبد العزيز عتيق، ص٤٢ .

(٧) احمد عبد السيد الصاوي، ص٢٨ ، وانظر ايضاً: ابو الحسن عبد الله الخطيب، ص٤٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نماذج المجاز

وسنستعرض نماذج جاءت عند المبرد في هذا الضرب، وبعدها نذكر ما ادخل فيما بعد تحت ابواب المجاز.

فقد جاء الباب الأخير في الكامل تحت عنوان(١): "هذا باب من متنخّل طريف الشعر، وذكر آيات من القرآن الكزيم ربّما غلط في مجازها النحويون".

ويذكر المبرد الآية الكريمة، ويوضّح مجازها، فمن الأمثلة: قال الله عز وجل(٢) "إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه"، يقول المبرد تعليقاً على الآية (٣): "مجاز الآية: أن المفعول الأول محذوف، ومعناه: يخوّفكم من أوليائه". ومثال آخر للمبرد في قول الله عز وجل(٤) "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"، يقول المبرد معلقا(٥) "والشهر لا يغيب عنه أحد، ومجاز الآية: فمن كان منكم شاهداً بلده في الشهر فليصمه، والتقدير "فمن شهد منكم"، أي من كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه، نصب الظروف لا نصب المفعول به".*

ومن المجاز عند المبرد الإخبار عن الجماد والميت ونحوه، وأكثر من ذكر الأمثلة التي صدّرها بقوله(٦) "فإنّ العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كل دليل قولاً". ومن الأمثلة التي ذكرها المبرد في هذا المقام قوله(٧) "وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل(٨): "قالتا أتينا طائعين" لم يكن كلاما، إنّما فعل عز وجل ما أراد فوُجد".

---

(١) الكامل: ١٥٠٣/٣ .
(٢) سورة آل عمران: ١٧٥/٣ .
(٣) الكامل: ١٥٠٣/٣ .
(٤) سورة البقرة: ١٨٥/٢ .
(٥) الكامل: ١٥٠٣/٣ .
* انظر ايضاً: الكامل: ١٥٠٣/٣ .
(٦) الكامل: ٦١٥/٢ .
(٧) المصدر السابق.
(٨) سورة فصلت: ١١/٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال آخر هو قول زهير(١):

أمن* أمّ* أوفى دمنة" لم تكلّم(٢)

يقول المبرد معلقا(٣) "وإنّما كلامها عنده ان تبيّن بما يرى من الآثار فيها من قدم اهلها وحدثان عهدهم" وانهى المبرد شواهده بقوله(٤) "وهذا في الأمثال كثير، وفي الأشعار السائرة" ليؤكد انتشار هذه الظاهرة المجازية في الأساليب العربية.

ومن النماذج المجازية التي تحدث عنها المبرد كذلك: ان يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى، وقد شرح المبرد القول في ثنايا شرحه لقصة طريفة(٥)، ويبدأ بقوله(٦) "وقولها (صمّ لا يسمعن) طريف من كلام العرب، وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره اعمى، وإنما يراد به انه قد حلّ محلّ من لا يبصر البتة، إذ لم يعمل بصره، وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل: أصمّ" واستشهد المبرد بالعديد من الآيات القرآنية، منها قوله جل ثناؤه(٧) "صمّ بكم عمي"، وقوله جلّ ذكره(٨) "إنّك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الصمّ الدعاء".

وسوف نضع بعض النماذج المجازية تحت عناوين للتوضيح، بعد أن استعرضنا نماذج دون عناوين:

---

(١) ديوان زهير بن ابي سلمى: تحقيق فخر الدين قباوة، ق١/١، ص١٦، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.

(٢) وعجز البيت: بحومانة الدرّاج فالمتثلّم. والبيت مطلع معلقته.

(٣) الكامل: ٢/٦١٥.

(٤) الكامل: ٢/٦٢١.

(٥) انظر الكامل: ٢/٦٧٨-٦٨٥.

(٦) الكامل: ٢/٦٨٤.

(٧) سورة البقرة: ٢/١٨، ١٧١

(٨) سورة النمل: ٢٧/٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ) الاتساع

وقد انتشرت أمثلته عند المبرد بشكل كبير، فمما جاء في ذلك قوله (١) "فمن جعل اليوم ونحوه ظرفاً قال: اليوم سِرت فيه، ومن جعله اسما على الإتساع قال: اليوم سرته، كما تقول: زيد ضربته"، وكما جاء عنده أيضا (٢) "وسير بزيدٍ يومان، وولد له ستّون عاماً، فالمعنى ولد لزيد الولد ستّين عاماً. وهذا الرفع الذي ذكرناه/ اتساع، وحقيقة اللغة غير ذلك، وكعادته فقد استشهد المبرد لتاكيد قوله بآيات من القرآن الكريم والشعر، فقد استشهد بقوله تعالى(٣) "بل مكر الليل والنهار" وبقول الشاعر(٤):

لقد لمتنا يا أمّ غيلان في السّرى

ونمت وما ليل المطيّ بنائم

واكثر المبرد من ذكر الأمثلة في باب الظروف والأمكنة.(٥)

واختار المبرد بعض العبارات المتداولة بين الناس كامثلة على هذا اللون من المجاز، منها قوله (٦) "فاما قولنا فيه عيبان فمشتق من ذا، لأنه جعله كالوعاء للعيبين والكلام يكون له اصل ثم يتّسع فيه فيما شاكل اصله. فمن ذلك قولهم: زيد على الجبل، وتقول: عليه دين، فإنما ارادوا أنّ الدّيْن قد ركبه وقد قهره"، ويتضح من هذا المثال والأمثلة السابقة العقلية المنهجية المنظمة عند المبرد، فطريقته في عرض موضوعه - وإن جاء عَرَضا - والتدليل له بما يناسبه ويوضحه من الأدلة على اختلافها.

---

(١) المقتضب: ١٠٥/٣ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة سبا: ٣٣/٣٤ .

(٤) هو جرير، ديوانه: ص٥٥٣-٥٥٩ .

(٥) المقتضب: ٣٢٨/٤-٣٣٢ .

(٦) المقتضب: ٤٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- علاقة المجاز ما يؤول إليه

عرض له المبرد العديد من الأمثلة استطراداً للحديث حول التشبيه المصيب، فقد تعرض لقول امرىء القيس(١):

كأنّ ابانا في افانين ودقه كبير أناس في بجادٍ مزمّل

فبعد أن فسّر معنى المتزمل، وانه لا يعقل أن يكون للجبل بقوله (٢) "وإنّما وصف امرؤ القيس الغيث. والراي الأول هو "أراد أنّ المطر قد خنّق الجبل. فصار له كاللباس على الشيخ المتزمّل" والراي الآخر هو "إنما اراد ما كساه المطر من خضرة النبت"، ويعلق المبرد على القولين "وكلاهما حسن، وذكر الودّق لأنّ تلك الخضرة من عمله". وواضح" ان المبرد قد اقام الإجراء والشرح الذي اعاده المتاخرون.

كما اورد المبرد أبياتاً عدة*، واورد المبرد قول الله عز وجل(٣) "إنّي أراني اعصر خمرا" يفسر المبرد الآية بقوله(٤) "أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال".

ج- تسمية الشيء باسم آلته

وهي من أضرب المجاز، "لأن الآلة هي الواسطة في إيصال اثر المؤثر إلى المتاثر"(٥). يقول المبرد في ذلك(٦): "وقال المفسرون في قوله الله عز وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه (٧) (واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين) اي ثناءً حسناً".

---

(١) ديوانه: ق١/٧٣، ص٢٥. (٢) الكامل: ٢/٩٩٤.

* المصدر السابق.

(٣) سورة يوسف: ١٢/٣٦.

(٤) الكامل: ٢/٩٩٥.

(٥) ابو الحسن الخطيب، ص٤٤٥.

(٦) الكامل: ١/٤٨٥-٤٨٦.

(٧) سورة الشعراء: ٢٦/٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د — المجاز المركب

وتعريفه (١) "هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه". وقد أورد المبرد مثالاً لها بصدر تعليقه على ابيات الشماخ (٢):

رأيت عرابة الأوسيّ تسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رُفعت لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليمين
إذا بلّغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا إلى ربع الرهان ولا الثمين

يقول المبرد (٣) "قوله (تلقّاها عرابة باليمين)، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة، وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل (٤): (والسموات مطويّات بيمينه)". والمبرد على الرغم من استحسانه لقول الشماخ في البيت الثالث السابق فهو يشير إلى الجانب الأخلاقي في الموضوع (٥).

ويستشهد لقوله باحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم.

هـ — المجاز المبالغة في الصفة

ويورد المبرد العديد من الأمثلة على أن المبالغة في الصفة هي مجاز، ولا يمكن أن يحمل على الحقيقة، فما أورده في ذلك، قول الشاعر في النحافة (٦):

---

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات، (المجاز المركب)، ٢١٩/٣ .

(٢) ديوان الشمّاخ: ق١٨/٢٣، ٢٥، ٢٦، ٨، ص٣٢٣-٣٤٠ .

(٣) الكامل: ١٦٧/١ .

(٤) سورة الزمر: ٦٧/٣٩ .

(٥) انظر الكامل: ١٦٨/١ .

(٦) البيت للعوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى. ديوان الحماسة بشرح التبريزي: ١٩١/٣-١٩٢ . وانظر أيضاً الحماسة البصرية ١٩٣/٢ البيت الأخير. المقاصد النحوية: ٤٥٧/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو أنّ ما أبكيت منّي معلّق بعود ثمام ما تاودّ عودها

يقول المبرد معلقا (١) "ومن الإفراط فيه" ويشرح كلمة الثمام بانها "نبت ضعيف واحده ثمامة، وهذا متجاوز".

فالمبرد قد استخدم التفسير اللغوي للفظ لتوضيح المقصد البلاغي، وهذا ما يؤكد ترابط مفهوم البلاغة عند المبرد بالمعنى اللغوي، والانطلاق بعد ذلك إلى آفاقٍ أوسع في المجال البلاغي الفني.

٥ — الالتفات

تعرض المبرد للالتفات في عدة مواضع تعليباً على ابيات شعرية جاء فيها هذا اللون البلاغي. وقد عرّف المبرد الالتفات بقوله (٢) "والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب".

ومن الأمثلة التي جاء فيها هذا اللون البلاغي في الكامل قول ذي الرمّة (٣):

تقول عجوزٌ متدرجي متروّحا
على بيتها من عند اهلي وعاديا
اذو زوجة بالمصر ام ذو خصومة
اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها: لا إنّ اهلي لجيرة
لأكثبة الدّهنا جميعا ومالياً
وما كنت مذ ابصرتني في خصومة
اراجع فيها يابنة الخير قاضيا
من آل موسى ترى القومَ حوله
كأنّهم الكِرْوان ابصرن بازيا

---

(١) الكامل: ١/٣٨٤-٣٨٥ .

(٢) الكامل: ٢/٩١٠ .

(٣) ديوان ذي الرمة: ق٤٣/٢٧،٢٩ - ٣٤ ، ٣٧ ، ج٢/١٣١١-١٣١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُرمّسين من ليثٍ عليه مهابة"

تفادى الأسود الغلب منه تفاديا

وما الخُرق منه يرهبون ولا الخنى

عليهم ولكن هيبة" هي ما هيا

يعلق المبرد فيقول(١) "وقوله: من آل موسى ترى القوم حوله فقال (ترى)، ولم يقل: تريْن، وكان المخاطبة أولاً للمرأة -كما يتضح من البيت الرابع السابق - ثم حول الخطاب إلى رجل. والعرب تفعل ذلك"، وليؤكد المبرد أن هذا من الأساليب العربية الفصيحة استشهد بقول الله عز وجل(٢) "حتّى إذا كنتم في الفلك وجَرين بهم بريح طيّبة"، يعلق المبرد على الآية بقوله(٣): "فكان" التقدير -والله أعلم- كان للناس، ثم حوّلت المخاطبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم".

وقدّم المبرد أيضاً نماذج للالتفات من شعر عنترة بن شدّاد(٤)، وجرير(٥)، والأعشى(٦)، وغيرهم. ويعلّق المبرد بعد الأمثلة بقوله(٧) "وهذا كثير جدا". وقد سرد المبرد من الشواهد القرآنية والأبيات الشعرية لفحول الشعراء، وشرحها حتى لا يبقى في ذهن المتلقي شك في هذا اللون البلاغي.

ولم يفصل المبرد في أنواع الالتفات وأقسامه كما فعل المتأخرون، واكتفى بالإشارة إلى هذا الفن والتمثيل له كما يفعل الرواد.

---

(١) الكامل: ٢/٥٧-٥٧٢ .

(٢) سورة يونس: ١٠/٢٢ .

(٣) الكامل: ٢/٥٧٢ .

(٤) الكامل: ٢/٥٧٢ ، وأعاد البيت ص/٩١٠ .

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكامل: ٢/٩٠٢-٩١٠ .

(٧) الكامل: ٢/٩١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ — الاستعانة

تحدث المبرد عن الإستعانة وهي(١) "الجملة الاعتراضية التي أدخلها البلاغيون في الإطناب"، ووضحها احدهم بقوله (٢) "واصل الإستعانة ان يعمد المتحدث إلى الفاظ يتكيء عليها ليتذكر ما بعدها". وناتي بعد هذا التوضيح إلى تعريف المبرد للاستعانة فقد قال(٣) "وأما ما ذكرناه من الاستعانة، فهو ان يُدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظماً او وزناً، إن كان في شعر، وليتذكّر به ما بعده إن كان في كلام منثور". (٤)

وواضح من كلام المبرد أنه طبق هذا على النثر والشعر وإن لم يدعمه بامثلة شعرية لوضوح الأمر في الشعر، وإنما اكتفى بإيراد بعض الأمثلة النثرية للاستعانة كقوله (٥): "كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة، مثل قولهم: السْت تسمع؟ افهمْت؟ اين انت؟ وما اشبه ذلك".

وأورد بعض الأشعار التي تُعيب الاستعانة ببعض الحركات والأصوات للتاثير مثل قوله (٦) "وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعرٍ (٧):

مليٌّ ببُهر والتفاتٍ وسُعلةٍ

ومسحة عثنون وفَتْلِ الأصابع

---

(١) احمد مطلوب: مناهج بلاغية، ص٩٠، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

(٢) إحسان عباس: ص٩٢-٩٣.

(٣) الكامل: ١/٤٥-٤٦.

(٤) انظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات: (الاستعانة)، ١/١٧٤، فقد ذكر تعريف المبرد.

(٥) الكامل: ١/٤٥-٤٦.

(٦) المصدر السابق.

(٧) انشده الجاحظ دون نسبة في البيان ١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- القلب المعنوي

ويُسمى التحويل، وتعريفه (١) "أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر". وعرّفه المبرد بطريقة مبسطة بعيدة التعقيد اللفظي، وذلك قوله (٢) "والكلام إذا لم يدخله لبْس جاز القلب للاختصار"، واستشهد المبرد على قوله بالآية الكريمة (٣) "وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوّة"، ويشرح وجهة نظره فيقول (٤) "والعصبة تنوء بالمفاتيح: أي تستقلّ بها في ثقل. ومن كلام العرب: إنّ فلانة لتنوء بها عجيزتها، والمعنى لتنوء بعجيزتها".

ومن أمثلة المقلوب أيضاً، قول الفرزدق، ونزل به ذئب فأضافه (٥):

وأطلس عسّال وما كان صاحبا
رفعت لناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت ادن دونك إنني
وإياك في زادي لمشتركان
فبت أقد الزاد بيني وبينه
على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشّر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بمكان
تعشّ فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيّين كانا أرضعا بلبان

---

(١) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات، (القلب)، ج٣/١٤٠.
(٢) الكامل: ١/٤٧٥.
(٣) سورة القصص: ٢٨/٧٦.
(٤) الكامل: ١/٤٧٥.
(٥) ديوان الفرزدق: ٢/٣٢٩، الأبيات ١-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو غيرنا نبتّهت تلتمس القرى

رماك بسهم أو شباة سنان

يقول المبرد(١): "وقوله (رفعتُ لناري) من المقلوب، إنما أراد رفعت له ناري".

٨- الزيادة الحسنة

وهي(٢) "التي تأتي قبل القافية، ويحتاج إليها الشاعر"، ولم يذكرها المبرد بلفظها، وإنما أشار إليها وشرح بعض شواهدها، ومنها قول امرىء القيس(٣)

كأن عيون الوحش حول خبائنا

وأرحلنا الجزع الذي لم يثقّب

"فالزيادة في قوله: لم يثقّب، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون".(٤)

ومثال آخر للزيادة الحسنة، قول زهير(٥):

كأنّ فتات العهن في كل منزل

نزلن به حبّ الفنا لم يحطّم

يعلق المبرد قائلا(٦) "الفنا شجر بعينه، يثمر ثمراً أحمر، وإنما وصف ما يسقط من أنماطهنّ إذا نزلن، والعهن: الصوف الملون، هذا قول أكثر أهل اللغة، وأما الأصمعي فقال: كل صوف عهن".

---

(١) الكامل: ٤٧٥/١ .

(٢) أبو الحسن الخطيب: ص٤٣١-٤٣٢ .

(٣) ديوان امرىء القيس: ق ٥٠/٣، ص٥٣ .

(٤) أبو الحسن الخطيب: ص٤٣١-٤٣٢ .

(٥) ديوان زهير: ق١٤/١، ص٢٢ . من المعلقة.

(٦) الكامل: ٩٩٥/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ — التغليب

وأشار إليه المبرد وأكثر من شواهده وفصّل في توضيح ذلك، ومنها قول الفرزدق(١):

ومنّا الذي أعطى يديه رهينة
لغادي معدّ يوم ضرب الجماجم
عشيّة سال المربدان كلاهما
عجاجة موت بالسّيوف الصوارم
هنالك لو تبغي كليبا٬ وجدتها
أذلّ٬ من الفردان تحت المناسم

يقول المبرد(٢) "وقوله: عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه، والعرب تفعل ذلك في الشيئين إذا جريا في باب واحد".

ويمضي المبرد في شرح التغليب وتفصيله ويأتي بأمثلة حول تغليب الاسم المذكر على المؤنث، في قول الفرزدق(٣):

أخذنا بآفاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع

يقول المبرد(٤): "يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمعا في قولك (النّيّران) وغلّب الاسم المذكر، وإنما يؤثر في مثل هذا الخفة".

ويقدم المبرد مثالاً٬ حول تغليب الاسم المفرد على المركب، فقد قال(٥): "وقالوا (العمران) لأبي بكر وعمر. فإن قال قائل: فلم لم يقولوا أبوي بكر، وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنّ٬ عمر اسم

---

(١) ديوان الفرزدق: ٢/٣١٨-٣١٩، الأبيات ١٠، ١٢، ١٣.

(٢) الكامل: ١/١٨٦-١٨٧.

(٣) ديوان الفرزدق: ١/٤١٩ البيت الأخير.

(٤) الكامل: ١/١٨٧. (٥) الكامل: ١/١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفرد، وإنما طلبوا الخفّة". ويرد المبرد على قول القائل إنّ المقصود بالعمرين: هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز بقوله (١) "لم يُصب، لأنّ أهل الجمل نادوا بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أعطينا سنّة العمرين".

كما استشهد المبرد بالعديد من الأقوال والأشعار*، نذكر منها قول جرير (٢):

وما لتغلب إن عدّوا مساعيهم

نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم

والعثمتران أبو بكر ولا عمر

وهكذا نرى المبرد قد استفاض في شرح هذا المصطلح والتمثيل له بشكل كبير، وهذا التفاوت بين الإسهاب والاقتضاب يعود كما اشرنا في أكثر من موضع الى طبيعة العقلية التي تمتع بها المبرد.

١٠ — التتميم (التقديم والتأخير)

تكلم المبرد عما سمّي فيما بعد بالتتميم كضرب من الإطناب، وذكره المبرد تحت تسمية التقديم والتأخير، والتتميم هو "ان يأتي في كلام لا يوهم خلاف قصده بفضلة تفيد نكتة". (٣)

واورد المبرد شواهد له (٤) نذكر منها قول زهير (٥):

إن تلق يوماً - على علاته - هرما

تلق السّماحة منه والندى خلقا

فالشاهد في البيت قوله (على علاته) فهو تتميم ويعلق

---

(١) المصدر السابق. * الكامل: ١/١٨٧-١٨٩.

(٢) ديوان جرير: ق١٤/٥١،٦٥ ، ج١/١٥٧،١٥٩ مع اختلاف الرواية.

(٣) أبو الحسن الخطيب، ص٤٣٢.

(٤) انظر أيضاً الكامل: ١/١٥٧-١٥٨ ، ٢٥٧-٢٥٩.

(٥) ديوان زهير: ق٢/١٨ ، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبرد على البيت وامثاله (١) "إنّما هو تقديم وتأخير، ولو لا هذا التقدير لم يجز أن يُضمر قبل الذكر".

١١ — السّجْع

وعرّف المبرد السجع بقوله (٢) "والسجع في كلام العرب: ان تتلف أواخر الكلام على نسق، كما تتاتلف القوافي، وهو في البهائم موالاة الصوت".

واستشهد المبرد ببيت شعري ليبين أن السجع يستعمل للبهائم*، والبيت هو لابن الدمينة (٣):

أأن سجعت ورقاء في رونق الضحى

على فنن غضّ النبات من الرّند

ولم يستشهد المبرد في هذا المقام بامثلة نثرية للسجع على انتشارها في لغة العرب، وذلك لوضوحها وكثرتها.

١٢ — التجريد

تكلم المبرد عن التجريد، ولكنه لم يسمه بهذا الاسم الذي عرف به اخيراً، ولكن المتامل في تعليقه على بعض ابياته التي اوردها يستشف منها معنى التجريد الذي عرّفه علماء البديع فيما بعد.

واورد المبرد العديد من الأمثلة (٤)، ويشرح وجه التجريد فيها، ومن هذه الأمثلة قول الأعشى(٥):

---

(١) الكامل: ١/٢٥٨ . (٢) الكامل: ٢/٧٨٧-٧٨٨ .

(٣) ديوان ابن الدمينة: ق٢١/٤١ ، ص٨٥ . تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ط، ١٩٥٩م.

* انظر أيضاً الكامل: ٢/٧٨٥-٧٨٦ .

(٤) الكامل: ١/٧٥-٨٠ .

(٥) ديوان الأعشى: ق١٧/٣٥ ، ص٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا خير من يركب المطايا و لا

يشرب كاساً بكفّ من بخلا

يقول المبرد(١): "إنما تشرب بكفّك، ولست ببخيل". مؤدى رأي المبرد هو أن الشاعر "ينفي الشرب عنه بكف بخيل، فاثبت له الشرب بكف كريم، وهذه الصورة منتزعة منه مغاير له، فكان على الوضع تجريد وكناية في آن واحد".(٢)

ومثال آخر أكثر وضوحا، هو قول ابي قحافة أعشى باهله(٣):

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزّفر

يعلق المبرد: "وإنما اراده بعينه، كقولك: لئن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد".(٤)

واشاد البعض(٥) بالمبرد في مجال التجريد، وعدّ ما جاء عنده متقدما على غيره، وانه نفخ فيه الروح من جديد بعد طول سُبات.

١٣ — اللف والنشر

تعرض المبرد لأسلوب اللف والنشر، وعرّفه بقوله(٦) "والعرب تلفّ الخبرين المختلفين، ثمّ ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بان السامع يردّ إلى كلّ خبره".

ومن امثلة هذا الأسلوب قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة:(٧) "ما أحسن الحسنات في آثار السيئات، وأقبح السيئات في آثار الحسنات! وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات، والحسنات في آثار الحسنات".

ومن امثلة المبرد الشعرية قول امرىء القيس:(٨)

---

(١) الكامل: ١/٧٧ . (٢) ابو الحسن الخطيب، ص:٤٥٥ .

(٣) الأصمعيات: ق٢٤/١٧، ص:٩٠ .(٤) الكامل: ١/٨٠ .

(٥) عبد القادر حسين، ص:٢١٧ . (٦) الكامل: ١/١٦٦ .

(٧) المصدر السابق.

(٨) ديوان امرىء القيس: ق١٥١, ، ص:٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

يعلق المبرد بقوله (١) "فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصّل فقال: كأنه رطبا العناب، وكأنّه يابساً الحشف؟ قيل له: العربي الفصيح اللّقن الفطن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيّا".

وقد أكد المبرد ما ذهب إليه بالإستشهاد بالقرآن الكريم، ومن الملفت للنظر ان المبرد قد استشهد في الموضعين بالآية الكريمة (٢) "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله"، وفصّل المبرد عند ذكر الآية في الموضع الثاني بقوله (٣) "علماً بان المخاطبين يعلمون وقت السكن ووقت الاكتساب".

وعدّ الباحثون المبرد من أوائل الذين التفتوا إلى هذا النوع(٤)، وقال باحث آخر(٥) "إن حديث المبرد عن اللف والنشر لعله أول حديث وصل إلينا، فنحن لا نعرف عنه شيئاً من قبل، لا عند سيبويه، ولا غير سيبويه، حتى نهاية القرن الثالث الهجري على يد المبرد، وقد كان حديثا شافيا بحيث لم يضف المتأخرون إلى جوهره شيئا مذكوراً".

والمبرد في هذا الموضوع يعيد التركيز على دور المتلقي، وأهمية أن يكون المتفنن على علم بثقافة المتلقي حتى يخاطبه بما يتناسب معه. وهذه النظرة تعتبر متقدمة على عصره، وتكشف عن سعة أفق المبرد في نظرته لوظيفة الأدب في المجتمع.

---

(١) الكامل: ٢/٩٢٢-٩٢٣.

(٢) سورة القصص: ٢٨/٧٣.

(٣) الكامل: ٢/٩٢٣.

(٤) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات (الطي والنشر)، ٣/٧٣.

(٥) عبد القادر حسين، أثر النحاة، ص٢١٧-٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤ — التقسيم

وعرّفه المتاخرون بقولهم(١) "هو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكلٍ إليه على التعيين. وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعمّ من اللف والنشر".

واورد المبرد امثلة للتقسيم دون أن يخوض في تفسير المصطلح مكتفيا بما ذكره حول اللف والنشر، وللتمثيل على ذلك نذكر مثالاً ورد عند المبرد(٢)، وتردد في الكتب البلاغية المتاخرة(٣) كمثال على التقسيم. وهو قول طُريح بن إسماعيل الثقفي(٤):

إن يَسْمعوا الخيرَ يُخفوه وإن سَمعوا
شَرّاً أذيعَ، وإنْ لم يَسْمعوا كذبوا

١٥ — مراعاة النظير

وتعريفه(٥) "هو الائتلاف والتلفيق والتناسب والمؤاخاة" ووضحه القزويني بقوله(٦) "وهو أن يجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه لا بالتضاد".

وقدّم المبرد نماذج للتناسب دون أن يشير إلى المصطلح، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧) "ألا اخبركم باحبكم إلي واقربكم مني مجالس(٨) يوم القيامة؟ احاسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً، الذين يالفون ويؤلفون، ألا اخبركم بابغضكم إليّ وابعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون

---

(١) القزويني، ص:٣٣٤-٣٣٥ . (٢) الكامل: ٢/٨٨٥ .
(٣) القزويني، ص:٣٣٨ . (٤) شعره :شعراء اموبون: ٣/٢٩٣ .
(٥) احمد مطلوب: معجم المصطلحات (مراعاة النظير)، ٣/٢٤٣ .
(٦) القزويني: ص٣٢٢ .
(٧) الكامل: ١/٥-٦ .
(٨) رواية الترمذي: مجلساً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتفيهقون". (١)

"فناسب صلى الله عليه وسلم بين أخلاق واكناف مناسبة اتزان لا تقفية". (٢)

١٦ — تجاهل العارف

وهو ما سمّاه البلاغيون(٣) "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة، كالتوبيخ، والمبالغة في المدح أو الذم والتحقير والتعريض". ولم يتكلم المبرد عن هذا المصطلح، وإنما ذكر امثلة ونماذج اعتبرها البلاغيون فيما بعد أمثلة على هذا المصطلح، ومن هذه النماذج التي تحمل معنى التوبيخ والذم والتحقير(٤)، قول الحطيئة (٥):

لقد مربتكم لو انّ درّتكم
يوماً يجيء بها مسحي وإبساسي
لما بدا لي منكم غيب أنفسكم
ولم يكن لجراحي فيكم آس
أزمعت ياساً مبيناً من نوالكم
ولا ترى طارداً للناس كالياس
ما كان ذنب بغيضٍ لا أبا لكم
في بائس جاء يحدو آخر الناس
جار لقوم أطالوا هُون منزله
وغادروه مقيماً بين أرماس
ملّوا قراه وهرّته كلابهم
وجرّحوه بانيابٍ وأضراس

---

(١) اخرجه أحمد في المسند ٤/١٩٣-١٩٤ من حديث أبي ثعلبة الخشني، وأخرجه الترمذي من حديث جابر باب البر والصدقة برقم ٢٠١٨ .

(٢) أبو الحسن الخطيب، ص:٤٥٣ .

(٣) القزويني: ص٣٥١-٣٥٢ .

(٤) الكامل: ٢/٧٢٠ .

(٥) ديوان الحطيئة : ق٧١/٣،٧،٨،٢٠،١٠،١١،١٣،١٥ ، ص٢٨٣-٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك انت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدَم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله: دع المكارم لا ترحل.....

هو الشاهد، يريد انه مذموم غير مكترث لاكتساب المجد والفضل.

١٧ — المطابقة

وتعريفها "التضاد والتطبيق والتكافؤ والمقاسمة"(١). واشار إليها المبرد دون ان يعرف المصطلح بدقة بل ذكرها عند التعليق على ابيات شعرية هي(٢):

ما راح يوم" على حيّ ولا ابتكرا

إلا رأى عبرةً فيه إن اعتبرا

ولا اتَتْ ساعة" في الدهر فانصرمت

حتى تؤثر في قومٍ لها اثرا

إنّ الليالي والأيام انفسها

عن غيب انفسها لم تكتم الخبرا

يعلق المبرد على الأبيات بقوله (٣) "فانصرفت اشبه للمطابقة والمشهور إنصرمت".

فالمبرد إذن قد التفت إلى المطابقة الحاصلة بين (اتت، وانصرمت) ويرى ان وضع اللفظ (انصرفت) مكان (انصرمت) الواردة في صدر البيت الثاني أشبه للمطابقة مع لفظ (اتت)، ويكتفي من حديثه عن المطابقة بهذا القدر.(٤)

---

(١) احمد مطلوب: معجم المصطلحات: (المطابقة): ٢٣٨/٣ .

(٢) الشاعر: عبدالله بن محمد بن أبي عيينة.

(٣) الكامل: ٥٢٤/٢ . الهامش (٣).

(٤) مجيد عبدالحميد ناجي، ص: ٢٢٨ - ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨ — الخبر

عرّف المبرد الخبر تعريفاً لم يخرج عنه البلاغيون المتاخرون، فقال(١) "هذا باب الابتداء. اعلم أن هذا الباب عبرة لكل كلام، وهو خبر، والخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب".

وتعتبر قصة المبرد مع الكندي المشهورة حول الفرق بين قول القائل(٢) "عبدالله قائم" و "إن عبدالله قائم" و "إن عبدالله لقائم" مثالاً واضحاً حول أهمية الخبر واختلاف المعاني في الخبر لاختلاف الألفاظ.

---

(١) المقتضب: ٣/٨٩ .

(٢) عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٢٤٢ ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، د. ط، ١٩٨٤ ، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب) الالتفاتات البلاغية في القضايا النحوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن اشتغال المبرد بالنحو وعلومه، وتاليفه لواحدٍ من اشهر أمهات كتب النحو، وكذلك اشتغاله باللغة وعلومها وإسهاماته الكبيرة في تاسيس علوم البلاغة جعله يمزج بين هذه العلوم، ويداخل فيما بينها باسلوب متين وخط متوازن.

ومن دراسة لكتب المبرد خاصة المقتضب والكامل نرى المبرد يشير إلى وجوه بلاغية عديدة اثناء معالجته للقضايا النحوية، وسوف نستعرض بعض ما جاء عند المبرد في هذا السياق للدلالة على ما ذهبنا إليه من مزجه للعلوم، ولبيان اهم الإشارات البلاغية التي تحدث عنها المبرد من خلال المعالجة النحوية.

١ — المشاكلة

وتعريفها (١) "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً".

وفسر المبرد المشاكلة بشكل واضح دون ان يعرّفها، فممّا جاء في ذلك قوله (٢) "ولو قلنا ما شانك وزيداً لاخترت النصب، لأن زيداً لا يختلط بالشان، لأن المعطوف على الشيء في مثل حاله، ولو قلت: ما شانك وشان زيد لرفعت، لأن الشان يعطف على الشان". وقد وضّح المبرد المشاكلة بقوله (٣) "وإذا اختلط المذكوران جرى على أحدهما ما هو للآخر إذا كان في مثل معناه، لأن المتكلم يبيّن به ما في الآخر، وإن كان لفظه مخالفاً".

وقد استشهد المبرد بالعديد من الأمثلة الموضحة والمفسرة للمشاكلة. ومن هذه الشواهد قوله تعالى(٤) "فاجمعوا أمركم وشركاءكم"، وقال المبرد موضحاً (٥) "وهذه الآية تفسّر على وجهين من الإعراب، أحدهما هذا، فالمعنى - والله اعلم - : مع

---

(١) احمد مطلوب: معجم المصطلحات، (المشاكلة)، ٢٥٨/٣، وايضاً، القزويني، ص:٣٢٧.

(٢) الكامل: ٤٣٢/١. (٣) المقتضب: ٥١/٢.

(٤) سورة يونس: ٧١/١٠. (٥) الكامل: ٤٣٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شركائكم ، لأنك تقول: جمعت قومي، واجمعت أمري، ويجوز أن يكون لمّا أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه ، لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد".

ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر(١):

شرّاب ألبان وتمرٍ وإقط

ويشرح المبرد ذلك بقوله(٢) "والتمر والإقط لا يقال فيهما: شُربا ، ولكن أخذلهما مع ما يُشرب فجرى اللفظ واحداً ، والمعنى أن ذلك يصير إلى بطونهم".

وينهي المبرد الأمثلة بقوله(٣) "وهذا بيّن" مما يؤكد أن المبرد يخاطب فئة مثقفة في المجتمع، وهي فئة الكتّاب والمتأدبين، وهم على دراية بهذه الأساليب، مما يفسر اتجاه المبرد إلى إلقاء الكلام - في كثير من المواضع - دون الغوص في الشرح والتفصيل إلا لضرورة معينة يراها.

٢ — خروج الاستفهام عن وضعه

أفاض المبرد في الحديث عن خروج الاستفهام عن وضعه لضروب بلاغية متعددة ، ومن أشهر هذه الضروب:

أ — التقرير

ويكثر المبرد من ضرب الأمثلة على أن التقرير من الأهداف البلاغية للاستفهام. فالمتقنن يأتي بأسلوب الاستفهام، وهدفه التقرير. ومن الشواهد التي تظهر ذلك ما جاء تعقيباً على قول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب(٤):

---

(١) الكامل: ٢٣٢/١ ، وانظر المقتضب : ٥١/٢ ، وقال محقق المقتضب، ولم ينسب الرجز إلى قائل معين.

(٢) المقتضب: ٥١/٢ .

(٣) الكامل: ٤٣٣/١ .

(٤) شعر عبدالله بن معاوية : ق٥٦ ، ص:٨٩-٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملفّفا

فكشّفه التمحيص حتى بدا لِيا

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة

فإن عرضت أيقنت أن لا أخاً ليا

فلا زاد ما بيني وبينك بعدما

بلوتك في الحاجات إلا تماديا

فلست براء عيب ذي الود كلّه

ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا

كلانا غنيٌّ عن اخيه حياته

ونحن إذا متنا اشدّ تغانيا

يقول المبرد(١) "وقوله: أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة إنه تقرير، وليس باستفهام، ولكن معناه: أني قد بلوتك تظهر الإخاء، فإذا بدت الحاجة لم ار من إخائك شيئاً".

ومن الأمثلة الأخرى قول المبرد تعليقاً على قول جرير(٢):

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

يقول(٣) "وأنت تعلم أنه لم يستفهم، ولكن قررهم بأنهم كذلك، وأنه قد ثبت لهم".

ب- التوبيخ

وأشار المبرد إلى خروج الاستفهام عن وضعه للتوبيخ والذم، ومن أهم الشواهد التي استحضرها المبرد في هذا المجال، قوله تعالى(٤) "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله"، يشرح المبرد الوجه البلاغة في الآية بقوله(٥) "إنّما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو عز وجل العالم بأن عيسى لم يقله".

---

(١) الكامل: ٢٧٧/١ .
(٢) ديوان جرير: ص٩٦ - ٩٩ .
(٣) المقتضب: ٢٩٢/٣ .
(٤) سورة المائدة: ١١٦/٥ .
(٥) الكامل: ٢٧٧/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأهمية الموضوع، فقد أشار المبرد في الكامل(١) إلى أن هذا الموضوع قد بحثه في المقتضب.

وأكثر المبرد من ذكر الأمثلة في المقتضب شارحاً لمعانيها، وموضحاً لغاياتها. ومن الأمثلة التي ذكرها المبرد قوله (٢) "أقياماً وقد قعد الناس. لم يقل هذا سائلاً، ولكن قاله موبّخاً منكراً لما هو عليه، ومثله، أقعوداً وقد سار الناس".

ومن الأمثلة الشعرية للتوبيخ قول العجاج(٣)

أطرباً وأنت قنّسْري

علّق عليه المبرد بقوله(٤) "فإنما قال إنكاراً على نفسه الطرب، وهو على غير حينه".

ج — التوبيخ والتقرير

وهذا النوع يشمل النوعين السابقين معاً، وقد ذكر له المبرد العديد من الأمثلة القرآنية منها قوله تعالى(٥) "آلم. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين. أم يقولون افتراه"، وقوله عز وجل(٦) "أم تسألهم أجراً". يقول المبرد حول الآيات(٧) "فإن ذلك ليس على جهة الاستفهام، لأن المستخبر غير عالم، إنما يتوقع الجواب فيعلم به؛ والله عز وجلّ منفيٌ عنه ذلك. وإنما تخرج هذه الحروف في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير".

د — التأكيد

جاء حديث المبرد حول خروج الاستفهام عن وضعه للتأكيد عند حديثه عن ما الاستفهامية. فقال(٨) "فـ (ما) تدخل على ضربين:

---

(١) الكامل: ١/٢٧٧ .
(٢) المقتضب: ٣/٢٢٨ .
(٣) ديوان العجاج: ق٢٥/٣، ص:٣١٠ .
(٤) المقتضب: ٣/٢٢٨ .
(٥) سورة السجدة: ٣٢/١-٣ .
(٦) سورة القلم: ٦٨/٤٦ .
(٧) المقتضب: ٣/٢٩٢ .
(٨) المقتضب: ٢/٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهما: أن تكون زائدة للتوكيد، فلا يتغير الكلام عن عمل أو معنى".

ومن أمثلة الخروج عن أصل الاستفهام للتاكيد قوله(١): "إن تاتني آتك، وأين تكن أكن، وأيّا تكرم يكرمك، و "أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى(٢)"".

٣- الفصل والوصل

تحدّث المبرد عن الفصل والوصل دون ذكر اسم المصطلح. ومعناهما(٣) "والفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض". وكان حديث المبرد حول الفصل والوصل من خلال حديثه عن واو الابتداء، ومتى يتحتم وجودها في الكلام ومتى يجوز.

ومن أمثلة ذلك عند المبرد قوله(٤) "فتقول: مررت برجل زيد خير منه، وجاءني عبدالله أبوه يكلمه - بغير الواو - وإن شئت قلت: وزيد خير منه، وأبوه يكلمه بالواو" فاستعمال الواو للوصل هنا جاء على الجواز، إذ لا يتغير المعنى بوجود أداة الوصل أو حذفها.

اما حديث المبرد عن كمال الاتصال، فقد جاء عند تفسيره لقوله تعالى(٥) "الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه". يقول المبرد(٦) "تقديره عند النحويين إذ قال "ذلك الكتاب" أنهم قد وُعدوا كتابا. وهكذا التفسير، فمعناه هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه".

وحديث المبرد عن كمال الانقطاع وعن التوسط بين الكمالين، فجاءت في قوله(٧) "إذا قلت: مررت بزيد عمرو في الدار فهو محال

---

(١) المقتضب: ٥٤/٢ .
(٢) سورة الإسراء: ١١٠/١٧ .
(٣) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات، (الفصل والوصل)، ١١٨/٣ .
(٤) المقتضب: ١٢٥/٤ .
(٥) سورة البقرة: ١/٢-٢ .
(٦) الكامل: ١١٥٠/٣ .
(٧) المقتضب: ١٢٥/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا على قطع خبر واستئناف آخر، فإن جعلته كلاما واحداً قلت: مررت بزيد وعمرو في الدار" وهذا الحديث دعا أحد الباحثين للتعليق عليها بقوله(١) "وواضح من العبارة أن المبرد يتحدث عن كمال الانقطاع، وعن التوسط بين الكمالين". وواضح من هذا القول إن وجود علاقة ما بين الجملتين يدعو إلى ذكر الواو، وهذا هو التوسط بين الكمالين، وإن لم تكن هناك علاقة على الإطلاق. فهذا يعني انتهاء الكلام واستئناف كلام آخر، وهنا يجب حذف الواو، وهو ما سُمّي بكمال الانقطاع.

ولا ينقص من مكانة المبرد عدم ذكر لفظ المصطلح، فالبلاغيون المتاخرون قد أطلقوا المصطلح وافادوا من كلام المبرد وامثلته، وإن فصّلوا الحديث حول الموضوع بشكل أكبر وأكثر تفريعاً.

٤) تقدم الحال

تحدث المبرد عن تقدم الحال على العامل واشترط كون العامل فعلا، وقال(٢) "واعلم أن الحال إذا كان العامل فيها فعلاً صحيحاً جاز فيها كل ما يجوز في المفعول به من التقديم والتاخير، إلا انها لا تكون إلا نكرة".

واستشهد المبرد لتقدم الحال بقوله عز وجل(٣) "خشّعاً ابصارهم يخرجون من الأجداث". ويعكس تقدم الحال اهميته، ودوره النفسي والإيحائي على المتلقي، وإن لم يفصل المبرد في هذا الموضوع، فقد اكتفى بالإشارة تاركاً للقارىء الفرصة في استشعار وتذوق القيمة البلاغية.

---

(١) عبد القادر حسين، أثر النحاة، ص:٢٠٤.

(٢) المقتضب: ١٦٨/٤.

(٣) سورة القمر: ٧/٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ — الدعاء يجري مجرى الأمر

وضّح المبرد أن الدعاء بمنزلة الأمر في اللغة، وذكر سبب التسمية وعلّل ذلك بقوله (١) "وإنّما قيل: دعاء وطلب للمعنى، لأنك تامر من هو دونك، وتطلب إلى من أنت دونه، وذلك قولك: ليغفر الله لزيد، وتقول: اللهم اغفر لي" وهذا التعليل للتسمية هو من الأدب في التعامل مع الله عز وجل، ومع الناس يوضحه المبرد ليلتزم به وبامثاله المتادبون.

٦ — الخبر بمعنى الدعاء

تكلّم المبرد عن الخبر بمعنى الدعاء في عدة مواضع، منها قوله (٢): "غفر الله لزيد. اللفظ لفظ الإخبار، والمعنى معنى الدعاء"، وقوله ايضاً (٣) "غفر الله لزيد، ورحم الله زيداً، ونحو ذلك، فإن لفظه لفظ الخبر، ومعناه الطلب، وإنما كان كذلك لعلم السامع انك لم تخبر عن الله - عز وجل - وإنما تسأله".

٧ — الأمر يراد به الوعيد والتهديد

اشار المبرد إلى خروج الأمر عن وضعه إلى هدف بلاغي هو الوعيد والتهديد، ومثّل له بقوله تعالى(٤): "ذرهم ياكلوا ويتمتعوا"، ووضّح بقوله (٥) "فإن قال قائل: أفامر الله بذلك ليخوضوا ويلعبوا؟ قيل: مخرجه من الله - عز وجل - على الوعيد". وذكر المبرد من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى(٦): "اعملوا ما شئتم" وقوله (٧) "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" وهذه اللفتات البلاغية تتكرر في كتب المبرد بشكل واضح.

---

(١) المقتضب: ١٣٢/٢ .
(٢) المقتضب: ٢٧٣/٢ .
(٣) المقتضب: ١٣٢/٢ ، وانظر ايضاً: ١٧٥/٤ ، ٣٨٣ .
(٤) سورة الحجر: ٣/١٥ .
(٥) المقتضب: ٨٦/٢ .
(٦) سورة فصّلت: ٤٠/٤١ .
(٧) سورة الكهف: ٢٩/١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- التمني كلون بلاغي

تحدث المبرد عن التمني كلون بلاغي، فيقدم (لو) التي تفيد التمني، والتي يقع النصب على الشرط والخروج من العطف؛ اي يظهر لنا وجه التحوّل في استعمال لو(١). يقول المبرد معلقاً على قول أعشى همدان(٢):

إنّ المكارم اكملت اسبابها
لابن الليوث الغُرّ من قحطان
للفارسي الحامي الحقيقة معلماً
زاد الرفاق إلى قرى نجران
الحارث بن عميرة الليث الذي
يحمي العراق إلى قرى كُرمان
ودّ الأزارق لو يُصاب بطعنة
ويموت من فرسانهم مائتان

يقول المبرد(٣): "وقوله (ويموت من فرسانهم) يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على العطف، ويدخل في التمني، والنصب على الشرط، والخروج من العطف". وقد استشهد المبرد لقوله بقراءة قرآنية، فقال(٤): وفي مصحف ابن مسعود (ودّوا لو تُدهن فيدهنوا)، والقراءة (فيدهنون)(٥) على العطف، وفي الكلام: ودّ لو تاتيه فتحدّثه، وإن شئت نصبت الثاني".

٩- لو الشرطية

تحدث المبرد عن لو الشرطية، واتّساع معناها لأهداف بلاغية، فقال عنها(٦) " فـ "لو" اصلها في الكلام ان تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره" وذكر انها "تتسع فتصير في معنى "إن"

---

(١) ابو الحسن الخطيب: ص ٤٢٩ .
(٢) الكامل: ١٢٨٠/٣ .
(٣) الكامل: ١٢٨١/٣ .
(٤) الكامل: ١٢٨١/٣ .
(٥) سورة القلم: ٩/٦٨ .
(٦) الكامل: ٣٦١/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقعة للجزاء" واستشهد لها بقوله تعالى(١) "وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا مؤمنين".

١٠ — القصر

تكلم المبرد عن القصر دون ذكر المصطلح وإنما جاء ذلك خلال كلامه على (إنّما). وتعريف القصر هو(٢) "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص".

يقول المبرد(٣): "تقول: إنّ زيداً منطلق، فإذا أدخلت "ما" صارت من حروف الابتداء، ووقع بعدها المبتدأ والخبر والأفعال، نحو إنّما زيد أخوك" واستشهد لقوله بالآية الكريمة(٤) "إنّما يخشى الله من عباده العلماء".

١١ — التمثيل

هو التنويع، إلا أن المبرد سماه التمثيل، وجاء عند المبرد في موضعين من المقتضب، أولهما عند حديثه عن الاستثناء. فقال(٥): "قولك: ما جاءني أحد إلا حمار، وتفسير رفعه على وجهين: أحدهما: أنك إذا قلت: ما جاءني رجل" إلا حمار - فكأنك قلت: ما جاءني إلا حمار"، وذكرت رجلاً وما أشبهه توكيداً، فكأنه في التقدير: ما جاءني شيء" / رجل ولا غيره إلا حمار. والوجه الآخر: أن تجعل الحمار يقوم مقام من جاءني من الرجال على التمثيل، كما تقول: عتابك السيف، وتحيّتك الضرب"، وقد استشهد المبرد لذلك بقول الشاعر(٦):

---

(١) سورة يوسف: ١٧/١٢ .

(٢) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات: (القصر) ١٣٧/٣ .

(٣) الكامل: ٤٤١/١ . (٤) سورة فاطر: ٢٨/٣٥ .

(٥) المقتضب: ٤١٣/٤ .

(٦) هو عمرو بن معدي كرب: شعره: ق:٤٤/ المختلط: ١ ، ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخيل قد دلفت لها بخيلٍ تحيّة بينهم ضرب وجيع

والموضع الثاني الذي تحدث فيه المبرد عن التمثيل كان خلال حديثه عن "عند"، فقال: "(عند) ومعناها الحضرة، كنحو قولك: زيد" عندك. فإن قلت: عند فلان علم، أو عنده مال: اي له مال، وإن لم يكن بحضرته، فإنّما أصله هذا، وقد اتّسع. كما تقول: عليه مال، فتمثيل، لأنه قد ركبه".

١٢ — الفرق بين إن وإذا

تناول المبرد الحديث حول الفرق بين "إن" و "إذا"، وتقييد الفعل بالشرط فيهما بالاستقبال، فبين أن "إذا" يكون الشرط فيها، مقطوعاً بعكس "إن". فقال(١): "إذا قلت: إذا أتيتني وجب أن يكون الإتيان معلوماً، ألا ترى إلى قول الله عز وجل(٢) "إذا السماء انفطرت"، وقوله (٣) "إذا الشمس كوّرت"، وقوله (٤) "إذا السماء انشقّت"، إن هذا واقع لا محالة".

وأضاف المبرد موضحاً الفرق بينهما بقوله (٥) "ولا يجوز أن يكون في موضع هذا "إن"، لأن الله - عزّ وجل - يعلم، و "إن" إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر. وليس هذا مثل قوله (٦) "إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف" لأن هذا راجع إليهم".

١٣ — إقامة الصفة مكان الاسم

اشار المبرد إلى الوجه البلاغي في إقامة الصفة مقام الاسم، فقال معلقاً على بيتي الشاعر(٧):

---

(١) المقتضب: ٥٦/٢ . (٢) سورة الانفطار: ١:٨٢ .

(٣) سورة التكوير: ١:٨١ . (٤) سورة الانشقاق: ١:٨٤ .

(٥) المقتضب: ٥٦/٢ . (٦) سورة الأنفال: ٣٨/٨ .

(٧) سلفت الأبيات في التشبيه المحمود، ص٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طليق الله لم يمنن عليه ابو داود وابن ابي كثير

ولا الحجّاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصّقور

يقول المبرد(١): "ونصب عيني بنت ماء على الذم، وتاويله: انه إذا قال: جاءني عبدالله الفاسق الخبيث، فليس يقول إلا وقد عرفه بالفسق والخبث، فنصبه باعني وما أشبهه من الأفعال نحو أذكر، وهذا أبلغ في الذم أن تقيم الصفة مقام الاسم، وكذلك المدح، وقوله تعالى(٢): (والمقيمين الصلاة) بعد قوله: (ولكن الراسخون في العلم منهم)، إنما هو على هذا".

وعدّ البعض هذا النوع من باب "علاقة تنظيم الكلمات واختلاف صورها بالمعنى المرجو، وانها لم تفلت النحاة".(٣)

١٤ — زيادة الحروف للتأكيد

ذكر المبرد أن زيادة بعض الحروف يكون لهدف معين مثل التاكيد، وأكثر من ذكر الأمثلة حول الحروف التي تعتبر زيادة، وبرّر وجودها في الجملة بحاجة بلاغية، وانها لم تات عبثاً، وإن لم تؤثر على السياق النحوي للجملة.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قوله عندما ذكر وجوه "ان" المخففة في الكلام ذكر وجهاً رابعاً هو(٤) "ان تكون زائدة مؤكّدة، وذلك قولك: لمّا أن جاء زيد قمت، ووالله ان لو فعلت لأكرمتك".

ومن الأمثلة التي ذكرها المبرد في مسالة زيادة الحروف للتاكيد قوله معلقاً على بيت الشاعر(٥):

---

(١) الكامل: ٢/٩٣٠.

(٢) سورة النساء: ٤/١٦٢.

(٣) "مصطفى ناصيف: نظرية المعنى في النقد الأدبي، ص٢٢، دار القلم، د. ط، ١٩٦٥.

(٤) المقتضب: ٢/٣٦١.

(٥) هو الأعشى: ديوان الأعشى الكبير. ق: ٣٤/٢٧، ص:٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا كخارجة المكلّف نفسه وابني قبيصة ان اغيب واشهدا

يقول المبرد(١): "الكاف زائدة مؤكدة، كتوكيدها في قول الله عز وجل(٢): "ليس كمثله شيء".

١٥ — الحذف

تحدث المبرد عن حذف بعض أجزاء الكلام في مواضع كثيرة، واشار إلى الأهداف المتوخاة من عملية الحذف، وسوف نستعرض الأهداف التي أشار إليها المبرد، وذكر أمثلة لذلك:

أ — الحذف للايجاز

تحدث المبرد عن الحذف بهدف الايجاز، وشرح ذلك في مواضع عديدة، منها قوله(٣): "ألا ترى أن النحويين لا يقولون: قام هند، وذهب جاريتك، ويجيزون: حفر القاضي اليوم امرأة يا فتى، فيجيزون الحذف مع طول الكلام، لأنهم يرون ما زاد عوضاً مما حذف".

وسوف نستعرض بعض ما ذكره المبرد مما يحذف لهدف الايجاز.

١ — حذف التوكيد

يقول المبرد(٤): "فإن طال الكلام حسُن حذف التوكيد، كما قال الله عز وجل(٥): (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا)".

---

(١) المقتضب: ٤/٤١٨ .

(٢) سورة الشورى: ٤٢/١١ .

(٣) المقتضب: ٢/٣٣٨ .

(٤) المقتضب: ٣/٢١٠ .

(٥) سورة الأنعام: ٦/١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — حذف الحروف

جاء حديث المبرد عن حذف بعض الحروف من خلال حديثه عن القسم، فقال بعد ذكر مقدمة سورة البروج(١): "وإنما وقع القسم على قوله (٢) (إنّ بطش ربك لشديد)، وقد قال قوم على (قُتل أصحاب الأخدود)(٣)، وحذفت اللام لطول الكلام، فالحذف عنده لهدف جمالي، يقول في موضع مشابه (٤) "وحذفت اللام لطول القصة، لأن الكلام إذا طال كان الحذف أجمل".

ب — الحذف في التكرير

تحدث المبرد عن حذف الفعل في التكرير فقال(٥): "وقد يحذف الفعل في التكرير [وفي العطف] وذلك قولك: رأسك والحائط، ورأسَه والسيف يا فتى، فإنما حذف الفعل للإطالة والتكرير، ودلّ على الفعل المحذوف بما يشاهد من الحال. ومن أمثال العرب (رأسك والسيف)، ومن أمثالهم: (أهلك والليل)(٦)، وقد دلّ هذا على أنه يريد: بادر أهلك والليل، والأول على أنه: نحّ رأسَك من السيف".

جـ — الحذف للاستغناء

تحدث المبرد عن حذف المضاف استغناء بإضافة الثاني أو قيام ما أضيف إليه مقامه.

فمن النوع الأول يقول المبرد في باب الاسمين اللذين لفظهما واحد والآخر منهما مضاف أن تقول(٧): "يا تيمَ تيمِ

---

(١) المقتضب: ٣٣٧/٢ .
(٢) سورة البروج: ١٢/٨٥ .
(٣) سورة البروج: ٤/٨٥ .
(٤) المقتضب: ٣٣٧/٢ .
(٥) المقتضب: ٢١٥/٣ .
(٦) الميداني: ج١ / ص٥٢ .
(٧) المقتضب: ٢٢٧/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عديّ، ويا زيد زيد عمرو. وذلك أنك أردت بالأول: يا زيد عمرو، فإمّا أقحمت الثاني تاكيداً للأول، وإما حذفت من الأول المضاف استغناء بإضافة الثاني، فكانه في التقدير: يا تيم عديّ يا تيم عديّ" ويوجد أمثلة أخرى لهذا النوع في الكامل.(١)

وأما النوع الثاني، وهو حذف المضاف لقيام المضاف إليه مقامه، فيقول المبرد في هذا(٢) "كما تقول زيد" شُرْب الإبل، وإنّما التقدير: يشرب شُرباً مثل شرب الأبل، (ومثل) نعت، ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر يبيّنه، وقام ما اضيف إليه مقامه في الإعراب، ومن ذلك قول الله عز وجل(٣): (واسال القرية) نصب، لأنه كان: واسال أهل القرية"، كما أشار المبرد إلى هذا النوع في المقتضب ايضا.(٤)

كما يتحدث المبرد عن حذف حرف الإضافة فيقول(٥): "لما حذف حرف الإضافة، وصل الفعل فعمل" واستشهد المبرد بالعديد من الأمثلة الشعرية، منها قول الفرزدق(٦):

منّا الذي اختير الرجال سماحة

وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع

يعلق المبرد قائلا(٧) "يريد: من الرجال".

د — الحذف للاستخفاف وكثرة الاستعمال

أشار المبرد إلى هذا النوع من الحذف في معرض حديثه عن قصة لمكاتب لبني المنقرع مع الفرزدق، وقد استجار بقبر أبيه، فقال له الفرزدق: "حكمك مسمّطا"(٨). وعلّق المبرد على عبارة

---

(١) الكامل: ١١٣٩/٣-١١٤٠. (٢) الكامل: ١٩٧/١.

(٣) سورة يوسف: ٨٢/١٢. (٤) المقتضب: ٢٣٠/٣-٢٣١.

(٥) المقتضب: ٣٣٠/٤.

(٦) ديوان الفرزدق: ج٤١٨/١، والبيت مطلع قصيدة.

(٧) المقتضب: ٣٣١/٤.

(٨) انظر القصة في الكامل: ٦١٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرزدق بقوله (١): "وأما قوله: (حكمك مسمّطا)(٢) فإعرابه أنه أراد: لك حكمك مسمطا، واستعمل هذا فكثر، حتى حذف استخفافاً، لعلم السامع ما يريد القائل، كقولك (الهلال والله)، أي هذا الهلال، وأغنى عن قوله هذا القصد والإشارة".

وعن الحذف لكثرة الاستعمال يورد المبرد حادثة هي(٣): "وكان يُقال لرؤبة: كيف أصبحت؟ فيقول: خيرٍ عافاك الله. فلم يضمر حرف الخفض، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال".

هـ -- الحذف للتخطيط

وأشار المبرد إلى هذا النوع بقوله (٤): "ويقال: في قلبي منك حوٌ جاء: أي حاجة، ولو جُمع على هذا لكان الجمع حَواج يا فتى، وأصله حواجيٌ يا فتى، ولكن مثل هذا يخفف كما تقول: صحراء صحارٍ يا فتى، وأصله صحاريٌ".

أهمية علم المخاطب في الحذف

على الرغم من توسع المبرد في إيراد مسوّغات الحذف، فإنه يشترط مراعاة عِلم المخاطب المحذوف ومعرفته به. يقول المبرد (٥): "ومما يحذف لعلم المخاطب بما يقصد له قولهم: لا عليك، إنما يريدون: لا بأس عليك"، ويفصل المبرد القول في المحذوف، فيقول(٦) "فالمعرفة والنكرة هاهنا واحد. وإنّما

---

(١) الكامل: ٦١٢/٢ .

(٢) الميداني: ٢١٢/١ ، واللسان (سمط).

(٣) الكامل: ٦١٧/٢ .

(٤) الكامل: ٣٦٩/١ .

(٥) المقتضب: ١٢٩/٤ .

(٦) المقتضب: ١٣٠/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلحذف إذا علم المخاطب ما تعني بأن تقدم له خبراً ، أو يجري القول على لسانه" .

ويتضح من العرض السابق لما ورد في إشارات المبرد البلاغية من خلال المعالجات النحوية سعة افقه وربطه بين علوم اللغة المختلفة في عقد منتظم متالق. كما ان هناك غاية عملية من ذلك وهي مساعدة المتادبين على الوصول إلى آفاق اللغة بجوانبها المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

المبرد بين أقرانه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توضحياً لشخصية المبرد البلاغية في إطارها التاريخي جاء هذا الفصل، وهو يُعنى ببيان صورة المبرد بين أقرانه من العلماء الذين ساهموا في صناعة اللبنات الأولى لعلم البلاغة، وجاء الاختيار على أساس موضوعي، فالشخصية الأولى هو الجاحظ الذي يقرّ المبرد باخذه عنه في كتاباته وافكاره، وكان له أثر واضح في مفهوم البلاغة عنده، والشخصية الثانية ابن قتيبة الذي كان يمثل أهل السنة في عصره. والشخصية الأخيرة هو ثعلب ختن المبرد، ويحمل ذات التوجه النحوي واللغوي الذي يتبناه المبرد مع بعض الاختلافات.

وقد حرصت في هذا الفصل على عدم تكرار النماذج مكتفيا بالإشارة إليها، حتى لا تطول بنا الدروب، وتخرج عن الخط الذي رسمناه. كما أن هؤلاء العلماء قد كُتب عن نشاطاتهم البلاغية خاصة الجاحظ، فقد كتبت عدة كتب مستقلة حول آرائه البلاغية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ) أثر الجاحظ في مفهوم البلاغة عند المبرد

يُعدّ الجاحظ من أعلام اللغة والأدب، وقد تتلمذ المبرد على يديه، وصرّح بروايته عنه في مواطن كثيرة من كتابه الكامل(١)، إضافة إلى روايته للكثير من الأشعار التي أوردها الجاحظ في ثنايا كتبه استشهاداً على القضايا واللفتات البلاغية. ومن خلال تتبّع آراء الجاحظ في البلاغة وإسهاماته المتنوعة في تأصيل فنونها المختلفة في كتبه المتنوعة، خاصة "البيان والتبيين" وكتاب "الحيوان"، نجد ان شخصية الجاحظ قد تركت آثاراً لا يُستهان بها في تفكير المبرد وآرائه البلاغية، ومع عظم هذا التأثير، فإنه لا يقلل من جهود المبرد، ولا يطغى على شخصيته العلمية، فقد انفرد المبرد بالعديد من الآراء التي لم تُنقل عن أستاذه الجاحظ، بل لقد زاد الأمر على ذلك، فمعالجة المبرد للقضية تأتي في بعض الأحيان مختلفة عما هو الحال عند الجاحظ، مما يؤكد - ما ذهبنا إليه - من استقلالية التفكير عند المبرد، وخروجه عن دائرة التقليد.

وهناك ملاحظة غاية في الأهمية يجب مراعاتها عند بيان اثر الجاحظ في تفكير وكتابات المبرد وهي اختلاف الاهتمامات والمشارب الثقافية بين الرجلين، فثقافة الجاحظ التي تتّسم بالشمول والموسوعية كانت مسخّرة لأغراض عقائدية، فرضها عليه انتماؤه المذهبي، وفي المقابل فإن ثقافة المبرد قد غلب عليها الطابع اللغوي بالدرجة الأولى والطابع الأدبي بالدرجة الثانية(٢). وهذا الاختلاف -السابق ذكره- سوف يظهر بوضوح حين نستعرض عدداً من الأمثلة التي تؤكد ما ذهبنا إليه حول العلاقة بين الرجلين، مع التأكيد على فضلهما، وإسهاماتهما في وضع اللبنات الأولى لعلم البلاغة.

---

(١) الكامل: ٤/١١٨.

(٢) انظر: حمادي صمود، ص٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل البدء في عرض النماذج الدالة يجدر الإشارة إلى أن المبرد وأثناء نقله المباشر عن الجاحظ يستخدم ألفاظاً قد تشعر الباحث - أحياناً - بشيء من قلة التقدير والثقة في رواية الجاحظ عند المبرد، والأمثلة على ذلك موجودة في الكامل(١). نذكر منها رواية قد تلقي الضوء على هذه المسألة. فقد روى المبرد عن الجاحظ قصة بدأها بقوله(٢): "وحدّثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي محمد بن الجهم لما كانت أيام الزّط أدمنت الفكر...."، وفي موضع آخر يعيد المبرد الرواية بقوله(٣): "وزعم عمر بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال...."، فقول المبرد في الرواية الأولى، "وحدثني أبو عثمان" التي تفيد الثقة والاحترام، لا تتفق مع قوله في الرواية الثانية "وزعم عمرو بن بحر" التي تفيد الشك على الرغم أن القصة في الموضعين واحدة. ويتكرر قول المبرد "وزعم الجاحظ" في أكثر من موضع(٤). وتفسير ذلك التباين في قول المبرد يعتمد على تفهم نفسية وأسلوب الراوي، خاصة عندما يتحدث شفاهاً في حلقة العلم، فالتنويع في إيراد الأقوال يُعَدّ فنّاً بلاغياً هدفه دفع الملل عن المستمعين، وقد طبّقه المبرد عملياً دون الإشارة النظرية.

ومن خلال مراجعة كتاب الكامل وغيره من كتب المبرد يتضح للباحث كثرة الألفاظ التي استعملها المبرد عند الرواية عن غيره من العلماء والرواة، مثل "ويروي، وتحدّث، وقال، وزعم، وأخبرني، وأنشدني" وغيرها من الألفاظ. ويجب علينا ان نفهم هذه الألفاظ ضمن الإطار الأدبي بعيداً عن علوم الحديث الشريف الذي يقيّد هذه الألفاظ، ويعطيها معنى لا تحيد عنه.

---

(١) الكامل: ٣٩٢/١ .

(٢) الكامل: ٥٣٢/٢ .

(٣) الكامل: ٧٦٤/٢ .

(٤) الكامل: ٣٩٢/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يزلّ بنا الراي فنفسر اختلاف الألفاظ على انه عداوة وبغض، فأثر الجاحظ الكبير في فكر المبرد يؤكد التلمذة والاحترام.

وسنستعرض امثلة لبيان أثر الجاحظ في ثقافة المبرد.

١) الفصاحة

استعمل الجاحظ مصطلح الفصاحة، وفصّل في بيان اساليبها ونماذجها في مواضع عديدة من كتبه وذلك عند كلامه عن الخطابة، وما ينبغي ان يتصف به الخطيب.(١)

وعند تتبع آراء الجاحظ واقواله حول الفصاحة ومقارنتها بما ورد عند المبرد نجد الاتفاق الكبير في ذلك، حتى اننا نلاحظ أن المبرد قد كرّر ذات الأمثلة التي اوردها الجاحظ، وإن كان الجاحظ قد اكثر من التفصيل وذكر الأمثلة بما لم يلحق به المبرد في ذلك.

كما أن المبرد لم يعط تعريفاً للفصاحة كما فعل الجاحظ، وإن كانت الدلائل تشير بقوة إلى وضوح المصطلح عند المبرد، وانه متعلق بالألفاظ.

٢- عيوب الكلام

اهتم المبرد كثيراً ببيان العيوب، ورأى فيها منغصات للفصاحة، وتتبع الجاحظ في ذلك، فأورد العيوب الخَلقية كالموجودة في الأسنان، واللسان، والأصوات. وكذلك العيوب المكتسبة كالعيّ، والحصر، واللحن. واشاد المبرد بمن استطاع التخلص من هذه العيوب، وعدّه من الأعاجيب(٢) - وهو واصل بن عطاء -، والرواية ذاتها موجودة بكاملها عند الجاحظ(٣). مما

---

(١) انظر: البيان والتبيين: ٧/١ ، ١٠-١١ ، ١٨-١٩، ٣٦٨ ، وغيرها وكذلك انظر: الحيوان: ٣٢/١ ، ٧٦ ، وغيرها.

(٢) الكامل: ١١١٢/٣-١١١٣ .

(٣) البيان والتبيين: ١٦/١-١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير إلى مدى التأثر والنقل عن الجاحظ، وإن كانت الأمثلة عند المبرد محدودة بالقياس لما هو عند الجاحظ.

٣ — البلاغة

شغل مصطلح البلاغة حيّزاً كبيراً عند الجاحظ، وقد نقل إلينا تعريفات كثيرة للبلاغة، وإن لم يعرّفها بنفسه، واكتفى باختيار قولاً أعجبه وهو(١): "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك". وقد تقدّم المبرد على أستاذه في تعريف البلاغة، وذلك في رسالته الصغيرة "البلاغة"، فقد تألق المبرد في هذه الرسالة، وجاء تعريفه منظماً ومخططاً جمع فيه العديد من التعريفات السابقة فجاء أكثر شمولاً ودقة.

كما نقل المبرد - كالجاحظ - تعريفات البلاغة عند السابقين في ثنايا كتبه.

٤ — الألفاظ والمعاني

أكثر الجاحظ من الحديث حول الألفاظ والمعاني، والعلاقات بينهما، وأهمية التنسيق والتلازم بينهما، فالألفاظ أوعية للمعاني، ونقل المبرد الكثير مما ورد عند الجاحظ حولهما، كما أن شواهد المبرد حول الموضوع ترجع في معظمها إلى كتابات الجاحظ.

٥ — الاختصار والإطناب

سار المبرد على نهج الجاحظ في تفضيل الاختصار عند أداء المعنى المطلوب، "والإيجاز ليس يُعنى به قلة عدد الحروف واللفظ"(٢) كما يقول الجاحظ، وإنما الهدف إيصال المعنى، وقد بيّن المبرد بعض مواضع الإطناب، إلا أنه لم يقف ويفصل في

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ١١٥/١ .

(٢) الجاحظ: الحيوان ٩١/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمر كثيراً كما فعل الجاحظ، فلقد فصّل وعدّد مواضع الاختصار والإطناب وبيان الفضل فيهما.(١)

ويمكن أن نستمر على هذا المنوال في بيان العلاقة العلمية بين الأستاذ والتلميذ النجيب في مواضع قد تشمل كل ما جاء في الدراسة كالتشبيه، والكناية والفصل والوصل وغيرها لنرى مدى تشرّب المبرد لآراء أستاذه. ولكننا اكتفينا بهذه الأمثلة الدالة، وتبين لنا مدى حرص كل منهما على تأصيل المفردات والمصطلحات البلاغية، وأنهما قد شقا الطريق لمن جاء بعدهما ليستنير بآرائهما، كما حفظا لنا أقوال الكثير من العلماء في البيان.

---

(١) انظر: الجاحظ، البلاغة والإيجاز: رسائل الجاحظ، ١٥١/٤ وما بعدها، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٧٩، د. ط. وكذلك: البيان والتبيين: ١١٢/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المبرد وابن قتيبة

يعد ابن قتيبة الدينوري والمبرد من جيل واحد، وأثّرت اهتمامات كل منهما على أفكاره وكتاباته، فكما مرّ معنا أن المبرد كان لغويا، فإن اشتغال ابن قتيبة بالقضاء، وتعمقه في أصول الفقه قد ظهرت آثاره في آرائه المعتدلة التي يفرضها عليه القضاء، فكان متوسطا في اتجاهاته الأدبية.(١)

وجعل ابن قتيبة من كتبه منبراً للرد على الملاحدة والشعوبيين الذين كانوا يلمزون أساليب القرآن الكريم، وعلى اللغويين الذين أنكروا المجاز وعلى المعتزلة الذين أفرطوا في التأويل.(٢)

وقد فصّل ابن قتيبة الحديث حول البلاغة، وخصّص أبواباً واضحة المعالم للحديث حول ألوان البلاغة، "ويقوم منهج ابن قتيبة على تعريف الفن البلاغي وضرب الأمثلة من القرآن الكريم وبليغ كلام العرب وشعرهم".(٣)

وسوف نستعرض بعض أبواب البلاغة عند ابن قتيبة مقارنة بما ورد عند المبرد لتوضيح العلاقة بين فكريهما.

١) الحداثة والمحدثين

يجاري ابن قتيبة المبرد في نبذ التعصب للشعر القديم، وإعطاء المحدثين حقهم، وأشار ابن قتيبة بوضوح في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء"(٤) إلى تركه للتعصب، وإلى إعطاء كلٍ حقه،

---

(١) انظر: محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم، ص٤١، الطبعة الأولى، ١٩٩١، دون دار نشر.

(٣) أحمد مطلوب: مناهج بلاغية، ص٥٧ - ٥٨.

(٤) ابن قتيبة: ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحسن عنده لا يؤخره تأخر قائله ، ولا حداثة سنه ، ويهاجم المتعصبين من اللغويين والنحاة ، فيتساوى المبرد وابن قتيبة في هذه القضية .

٢) عيوب الكلام

عقد ابن قتيبة في أول كتابه باباً حول عيوب الشعر وعدّدها ، إلا انه أجاز للشاعر إتيان بعض العيوب للضرورة (١). أما المبرد فقد كان كلامه حول العيوب عامّاً ، فلم يحدده بالشعر أو النثر ، وكذلك فقد رأينا المبرد ينادي بتجاوز الخطأ إذا كان بين الكلام الجميل. وإن كان المبرد يرى الخطأ في الكلام الجميل اكثر وضوحاً .

٣ — الفصاحة

لم يستخدم ابن قتيبة لفظ (الفصاحة) ، وإنما استعمل كلمة "الألفاظ" ، ويدعو صراحة إلى عدم تتبع القدماء في استعمالهم لوحشيّ الكلام ، وإلى اختيار أحسن الروي ، وأسهل الألفاظ ، وابعدها من التعقّد والاستكراه (٢). وهذا يتناسب مع ما ذكره المبرد ودعا إليه وإن لم يكن بهذا الوضوح.

٤ — اللفظ والمعنى

تكلم ابن قتيبة حول العلاقة بين اللفظ والمعنى وذكر ان الشعر يكون على أربعة أضرب(٣) ، في حين أن المبرد تكلم عن العلاقة بين اللفظ والمعنى دون تنظيم ، ودون الإحاطة بالأنواع

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٤٣ - ٤٧ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٤٦ - ٤٧ ، بتصرف .

(٣) المصدر السابق : ص٢١ - ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلها، فابن قتيبة في هذا الباب أكثر تنظيماً وأعمق شرحاً للموضوع، هذا من الناحية الإبداعية، أما العلاقة اللغوية بين اللفظ والمعنى، فقد أسهب ابن قتيبة في توضيح ذلك، وعقد فصلاً بعنوان(١) "اللفظ الواحد للمعاني المختلفة" ذكر فيه عدة أسماء يأتي كل منها لمعانٍ متعددة. وعقد باباً بعنوان(٢) "مخالفة ظاهر اللفظ معناه". وفي كتابه "أدب الكاتب" باباً بعنوان(٣): "أسماء ألفاظ يتفق لفظها وتختلف معانيها"، وباب آخر مشابه بعنوان(٤) "باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها". وابن قتيبة في كل هذا لا يخرج - رغم التوسع والتنويع - عما ذكره المبرد حول الموضوع، وإن كان حديث المبرد باختصار شديد جداً.

والعالمان قد تناولا الموضوع من الباب اللغوي الخالص، ولم يتعرضا للدلالات البلاغية التي وصفها المتأخرون بالجناس والطباق وغيره من الفنون.

٥ — المجاز

شنّ ابن قتيبة حملة على من يرى أن المجاز كذب، وجاء ردّه على الطاعنين على القرآن الكريم بالمجاز رداً منطقياً مفحماً(٥)، وقد أفرد فصلاً للمجاز سماه "باب القول في المجاز"(٦)، والمجاز عنده يشمل الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، وأشياء أخرى كثيرة.

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص٣٢١ - ٣٩٤، تحقيق: أحمد صقر، د.ط، د. ت. القاهرة.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٤ - ٢٢٩.

(٣) ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص٢٣٣، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨م، القاهرة.

(٤) المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٥) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص٩٩-١٠٠.

(٦) المصدر السابق، ص١٥-١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمبرد في كلامه عن المجاز يتعرض لهذه الأبواب وقد نصل إلى حد أن نحكم أن تعريف الاستعارة عند ابن قتيبة - مثلاً - هو ذات التعريف عند المبرد.(١)

٦- الاختصار والإطناب

جاء حديث ابن قتيبة عن الاختصار والحذف معاً، وفصّل القول فيهما، وبين أن منه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه (٢). واتفق مع المبرد على أن الاختصار إذا لم يؤد المعنى، فالإطناب أولى وأفضل. وابن قتيبة يرى أن الهدف من الاختصار التخفيف والإيجاز.(٣)

٧- خروج الكلام عن وضعه

أشار ابن قتيبة في "باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه"(٤) إلى خروج الكلام من ظاهر لفظه إلى معنى آخر. كالدعاء على جهة الذم، والدعاء على جهة التعجب، ومجيء الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير أو تعجب أو توبيخ أو غيره. وهذا توسيع لما ذكره المبرد من خروج الاستفهام عن وضعه لأغراض أخرى مشابهة لما ذكر ابن قتيبة.

وفي نهاية المقارنة بين المبرد وابن قتيبة من خلال الأمثلة السابقة، يبدو لنا الحكم بينهما ليس سهلاً فاختلاف الهدف من التأليف والكتابة عندهما قد أدى إلى هذا الاختلاف، فالمبرد يسعى إلى جمع أطراف الحديث حتى لا يفوت القارىء والمستمع فائدة مرّت من خلال آية قرآنية أو حكمة نثرية أو

---

(١) ابن قتيبة: تاويل مشكل القرآن، ص١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٢ - ١٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص٢١٣ - ٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطعة شعرية . ولكنه لا يستطرد الحديث عن الدقائق والتفريعات كما فعل ابن قتيبة الذي وضع همّه الاول دفشع تهم المغرضين، والدفاع عن كتاب الله عز وجل واللغة العربية في وجه الطاعنين المشككين من الملاحدة وغيرهم، ولا ننسى - ما ذكرناه - تاثير ثقافته الفقهية القضائية على كتابته التي تتطلب التنظيم والترتيب والاستقصاء .

ويبقى لكلٍ فضله واجره في خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج - المبرد وثعلب

يعتبر ثعلب أحد زعماء مدرسة الكوفة النحوية (١)، وهو ندّ للمبرد البصري، "وكان بينهما ما يكون بين المتعاصرين من المنافسة والمناظرة" (٢). وقد غلبت على ثعلب العقلية المحافظة، ولم يكن ميدانه - وهو من رجال اللغة والنحو - معالجة قضايا الأدب، ولم يكن موصوفاً بالبلاغة. (٣)

ويعتبر كتاب ثعلب "قواعد الشعر" مرجعنا في المقارنة بينه وبين المبرد. ومنهج ثعلب في الكتاب "لا يعدو ذكر الفن البلاغي، مع تعريف موجز يتبعه بأمثلة شعرية". (٤)

وسوف نستعرض عدداً من الأمثلة للتدليل على العلاقة بين المبرد وثعلب، ومدى الاتفاق والاختلاف بينهما في ذلك.

١ - المحدثة والمحدثين

سيطرت عقلية ثعلب المحافظة عليه، فلم يهتم بالشعر المحدث، "وتميّز عليه المبرد، وكان أسرع من معاصره اللغوي إلى تبني الشعر المحدث، وتمنحه شيئاً كثيراً من عطفه، واعتماده أصلاً من أصوله في تدريس طلابه". (٥)

٢ - عيوب الكلام

أُشار ثعلب إلى عيوب الكلام في لغات العرب من كسكسة وكشكشة وغيرها، وكيف أن قريشاً قد ارتفعت عن هذه اللغات فوصفت بالفصاحة (٦). وإن ما ذكره ثعلب يقل عما جاء به المبرد توضيحاً وشرحاً.

---

(١) اللفطي: ١٣٨/١ .

(٢) انظر: المقتضب، ٢٦/١ - ٣٠ ، وقد كتب المحقق فصلاً حول الخصومة بين المبرد وثعلب. (٣) بدوي طبانة، ص١١٩ .

(٤) أحمد مطلوب: مناهج بلاغية، ص١٠١-١٠٢

(٥) احسان عباس، ص٩٠ . (٦) ثعلب: مجالس ثعلب، ١٠٠/١-١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ — الفصاحة

لا يوجد فيما كتب ابو العباس ثعلب إشارة إلى الفصاحة، وإنما أشار إلى جزالة الألفاظ(١)، وتعريف ثعلب لجزالة الألفاظ(٢)، متناسب تماماً مع ما طالب به المبرد في الفصاحة.

٤ — البلاغة

أشار ثعلب إلى ابلغ الشعر، وجاء رأيه معتدلاً، والشعر البليغ ما اعتدل شطراه عنده(٣)، دون الإشارة إلى سعة المعنى، وقلة الألفاظ التي عدّها المبرد من أسباب بلاغة الكلام، ولعل اختصاص كلام ثعلب حول الشعر قد قيّده بينما جاء كلام المبرد حول البلاغة عاماً في الشعر والنثر فكان اجمع واوسع.

٥ — الاستعارة

تحدث ثعلب عنها بشكل منظم، وعرّفها ذات تعريف المبرد(٤)، واكثر من الشواهد الشعرية التي ابان فيها عمّا قصده بها، ووضّح ثعلب أركانها والعلاقة بين طرفيها. أما المبرد فلم تصل دراسة الاستعارة عنده إلى هذا الحد، وإنما اكتفى بالتعريف وذكر الأمثلة.

---

(١) احمد مطلوب، مناهج بلاغية، ص١٧.

(٢) ثعلب: قواعد الشعر، ص٥٩، تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجي، د. ط، القاهرة، ١٩٤٨.

(٣) ثعلب: قواعد الشعر، ص٦٣.

(٤) ثعلب: قواعد الشعر، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ — لطافة المعنى

تكلم ثعلب عن لطافة المعنى(١)، ومن خلال مراجعة التعريف، والنظر في الأمثلة التي أوردها ثعلب، وتعليقه عليها، يتضح بسهولة أن المقصود بلطافة المعنى، هو ما سماه المبرد (الكناية)، ولا ضير في ذلك، فالمصطلحات ما زالت في طور النمو، والمبرد قد أكثر من الكناية وأقسامها مما لا نجده عند ثعلب. وكذلك فإن الكناية عند ثعلب إنما توجّه لمن حسن فهمه واستنباطه (٢) على عكس المبرد الذي يرى أن الكناية تشيع في المجتمع، وتصبح من قاموسه اللغوي.

وهكذا نرى أن ثعلب قد استفاد من المبرد وأخذ منه. وإن كان يصعب التفريق والقول بالتلمذة لما ذكرناه من المنافسة بين الرجلين.

وفي نهاية الفصل لا بد من التأكيد على أهمية الدراسة المقارنة بين العلماء الأوائل ودورها في توضيح التطور التاريخي للعلم اللغوي.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٣ - ٤٤ .

(٢) ثعلب: قواعد الشعر، ص٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أود أن أسجل النتائج التالية :-

١- يعد المبرد من الناحية التاريخية من أوائل العلماء الذين تعرضوا للقضايا البلاغية بالشرح والتأصيل. وساهم بشكل واضح في تثبيت أركان البلاغة بالشرح والتمهيد لمن جاء بعده من العلماء.

٢- حرص المبرد على توضيح المفاهيم البلاغية حرصاً كبيراً، واستخدم جميع فنون القول المعروفة من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال القدماء والمحدثين الشعرية والنثرية للتدليل على ما يرمي إليه من وجوه البيان.

٣- لم يفرد المبرد باباً خاصاً لدراسة المباحث البلاغية إلا ما كان في باب التشبيه ورسالة البلاغة، وكان حديثه عنها يأتي من خلال الشرح والتعليق على الشواهد وبيان ما فيها من وجوه بلاغية.

٤- تحدث المبرد عن العديد من القضايا البلاغية دون ذكر اسم المصطلح، وأحياناً كان يسمي المفردة البلاغية بغير ما توافق عليه علماء البيان اللاحقون.

٥- ظهر بوضوح أثر الثقافة السابقة في التعامل مع القضايا البلاغية، فالمبرد النحوي يختلف في أسلوب طرحه عن الجاحظ الذي استخدم كتاباته لخدمة آرائه الفكرية. وكذلك اختلف المبرد كثيراً مع أسلوب ابن قتيبة الذي ركّز على التفاصيل والفروع وذلك للرد على الجاحدين والمنكرين.

٦- احتكم المبرد كثيراً لذوقه الفني في الحكم على الشواهد، فكثر بشكل ملحوظ استخدام أسلوب التفضيل مثل أبلغ، أجمل، أعجب، دون أن يعلل ذلك منطقياً.

وبعد،

فأرجو أن أكون قد أعطيت صورة واضحة لبلاغة المبرد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الآمدي: الحسن بن بشر بن يحيى (-٣٧٠هـ)، الموازنة بين ابي تمام والبحتري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، د.ت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣- إحسان عباس،

أ- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ب- شعر الخوارج، د.ط، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٤- أحمد أحمد فشل، علم البديع، رؤية جديدة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الدار العربية للتوزيع، الإسكندرية، مصر.

٥- أحمد بن حنبل (-٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، د.ت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٦- أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، د.ط، ١٩٨٨م، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر.

٧- أحمد مطلوب،

أ- البلاغة عند الجاحظ، د.ط، ١٩٨٣م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، العراق.

ب- القزويني وشروح التلخيص، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مكتبة النهضة، بغداد، العراق.

ج- مصطلحات بلاغية، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق.

د- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.ط، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- مناهج بلاغية، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، وكالة المطبوعات، الكويت.

٨- إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

٩- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (-٦٢٤م)، ديوانه، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، د.ط، ١٩٦٨م، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠- الأصمعي، عبد الملك بن قريب (-٢١٦هـ)، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م، دار المعارف، مصر.

١١- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (-٥٤٠م)، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، دار المعارف، مصر.

١٢- بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، الطبعة الرابعة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر.

١٣- البصري، صدر الدين علي بن الحسن (-٦٥٩هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

١٤- التبريزي، الخطيب (-٥٢٠هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، د.ت، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر.

١٥- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (-٢٩٧هـ)، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (-٢٩١هـ)،

أ- قواعد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، القاهرة، مصر.

ب- مجالس ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، د.ت، دار المعارف، مصر.

١٧- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (-٢٥٥هـ)،

ا- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م، مكتبة الخانجي، مصر.

ب- الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م، مكتبة مصطفى الجابي الحلبي، القاهرة، مصر.

ج- رسائل البلاغة، البلاغة والإيجاز، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، ١٩٧٩م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

١٨- الجرجاني، عبد القاهر (-٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، د.ط، ١٩٨٤م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

١٩- جرير، ابن عطية الخطفي (-١١٠هـ)، ديوانه، تحقيق: نعمان محمد امين طه، د.ط، ١٩٦٩م، دار المعارف، مصر.

٢٠- ابن جني، ابو الفتح عثمان (-٣٩٥هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، ١٩٥٢م، دار الكتب المصرية، مصر.

٢١- الحطيئة، جرول بن أوس (-٥٩هـ)، ديوانه، بشرح ابن السكيت والسكري والمجستاني، تحقيق: نعمان امين طه، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م، مكتبة البابي الحلبي، مصر.

٢٢- حمادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب، اسسه وتطوره إلى القرن السادس، د.ط، ١٩٨١م، منشورات الجامعة التونسية، تونس.

٢٣- حميد بن ثور الهلالي (- في خلافة عثمان)، ديوانه، تحقيق: عبد العزيز الميمني، د.ط، ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٢٤- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثامنة، د.ت، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٥- أبو حية النمري: الهيثم بن الربيع (- نحو ١٨٣هـ)، شعره، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، د.ط، ١٩٧٥م، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.

٢٦- الخريمي، أبو يعقوب إسحق بن حسان (-٢١٤ هـ)، ديوانه، جمع وتحقيق: علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

٢٧- دريد بن الصمة الجشمي، (-٦٠٣م)، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، د.ط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار قتيبة، سوريا.

٢٨- ابن الدمينة، عبدالله بن عبيدالله (- ١٣٠ هـ)، ديوانه، صنعه: ابو العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: احمد راتب النفاخ، د.ط، ١٩٥٩م، مكتبة دار العروبة، القاهرة، مصر.

٢٩- ذو الرمة، غيلان بن عقبة (- ١١٧ هـ)، ديوانه، بشرح ابي النصر احمد ابن حاتم الباهلي، تحقيق: عبدالقدوس ابو صالح، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة دار الإيمان، بيروت، لبنان.

٣٠- الراعي النميري، حصين بن معاوية (- ٩٠ هـ)، ديوانه، تحقيق: راينهرت فايبرت، د.ط، ١٩٨٠م، منشورات دار فرانتس شتاينر، المعهد الالماني ببيروت، لبنان.

٣١- زهير بن أبي سلمى، (-٦٠٩م)، ديوانه، تحقيق: فخر الدين قباوة، د.ط، ١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

٣٢- سحيم عبد بني الحسحاس الأسدي، (- في خلافة عمر)، ديوانه، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، دار الكتب المصرية، مصر.

٣٣- سلامة بن جندل التميمي (- ٢٣ ق. هـ)، ديوانه، تحقيق: فخر الدين قباوة، د.ط، ١٩٦٨م، المكتبة العربية، حلب، سوريا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٤- السيرافي، ابو سعيد الحسن بن عبدالله (-٣٦٨هـ)، أخبار النحاة البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، دار الاعتصام، مصر.

٣٥- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (-٩١١هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، د.ت، المطبعة الخيرية، مصر.

٣٦- الشريف المرتضى، علي بن الحسين (- ٤٣ هـ)، أمالي الشريف المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٣٧- شوقي ضيف،

أ- البلاغة تطور وتاريخ، الطبعة السادسة، د.ت، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ب- العصر العباسي الأول، د.ط، د.ت، دار المعارف، مصر.

ج- الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الخامسة، ١٩٦٥م، دار المعارف، مصر.

٣٨- طرفة بن العبد، عمرو بن عبد البكري (- ٦٠ ق. هـ)، ديوانه، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، د.ط، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

٣٩- العباس بن الأحنف (- ١٩٢ هـ)، ديوانه، د.ط، ١٩٧٨، دار صادر، بيروت، لبنان.

٤٠- عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، د.ط، د.ت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٤١- عبدالقادر حسين،

أ- اثر النحاة في البحث البلاغي، د.ط، د.ت، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المختصر في تاريخ البلاغة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت، لبنان-القاهرة، مصر.

٤٢- عبدالله الخطيب، أبو الحسن، المبرد ودراسة كتابه الكامل، د.ط، ١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، مصر.

٤٣- عبدالله الطالبي، بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (- ١٢٩ هـ)، شعره، جمعه: عبدالحميد راضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٤- العجاج، عبدالله بن رؤبة (- نحو ٩٠ هـ)، ديوانه، برواية عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: عزة حسن، د.ط، د.ت، مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان.

٤٥- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (-٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

٤٦- العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (-٨٥٢ هـ)، لسان الميزان، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٤٧- علقمة الفحل، ابن عبدة بن النعمان، ديوانه، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: لطفي الصقال ودربة الخطيب، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا.

٤٨- عمرو بن معدي كرب الزبيدي، (-٢١ هـ)، شعره، جمع وتنسيق: مطاع الطرابيشي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

٤٩- عنترة بن شداد العبسي، (-٨ ق.هـ)، ديوانه، تحقيق: محمد سعيد مولوي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي، دمشق- سوريا، بيروت- لبنان.

٥٠- الفرزدق، همام بن غالب (-١١٤ هـ)، ديوانه، تحقيق وشرح: كرم البستاني، د.ط، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، دار صادر،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت، لبنان.

٥١- فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، د.م.

٥٢- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (-٢٧٦هـ)،

أ- أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨م، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

ب- تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، د.ط، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ج- الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قمحية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٣- القزويني، الخطيب جلال الدين أبو عبدالله محمد (-٧٣٩ هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، راجعه وصححه: بهيج غزاوي، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.

٥٤- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (- ٦٤٦ هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

٥٥- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٦هـ)،

أ- البلاغة، تحقيق: رمضان عبدالتواب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

ب- التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، د.ط، ١٩٧٦م، مطبعة زيد بن حارثه، دمشق، سوريا.

ج- رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها، سلسلة نوادر المخطوطات، المجموعة الثانية،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥١م، مطبعة السعادة، مصر.

د- الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، د.ط، ١٩٥٦م، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

هـ- الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

و- ما اتفق لفظه واختلف معناه من ألفاظ القرآن المجيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، د.ط، ١٣٥٠هـ، طبعة المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

ز- المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، د.ط، ١٩٧٠م، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ح- المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د.ط، د.ت، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٥٦- مجنون ليلى، قيس بن الملوح (- ٦٨ هـ)، ديوانه، جمع وتحقيق: عبد الستار فراج، د.ط، د.ت، مكتبة مصر، القاهرة، مصر.

٥٧- مجيد عبد الحميد ناجي، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، د.ط، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق.

٥٨- محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٥٩- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، د.ط، د.ت، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

٦٠- محمد عبد الغني المصري، نظرية الجاحظ في البلاغة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار العدوي، عمان، الأردن.

٦١- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، د.ط، د.ت، مكتبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نهضة مصر، القاهرة، مصر.

٦٢- محمود السيد شيخون، الاستعارة، نشأتها - تطورها - أثرها في الأساليب العربية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

٦٣- المرصفي، سيد بن علي (- ١٣٤٩ هـ)، رغبة الآمل من كتاب الكامل، د.ط، ١٩٧٠م، مكتبة الأسدي، طهران، إيران.

٦٤- مسلم بن الوليد الأنصاري (- ٢٠٨ هـ)، شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق: سامي الدهان، الطبعة الثالثة، د.ت، دار المعارف، مصر.

٦٥- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، د.ط، ١٩٨٥م. منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر.

٦٦- مصطفى ناصيف، نظرية المعنى في النقد العربي، د.ط، ١٩٦٥م، دار القلم، دمشق، سوريا.

٦٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال بن محمد بن مكرم (-٧١١هـ)، لسان العرب، د.ط، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان.

٦٨- الميداني، أحمد بن محمد (-٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، ١٩٥٥م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.

٦٩- النابغة الجعدي، أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله (-٦٥هـ)، شعره، تحقيق: عبد العزيز رباح، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا.

٧٠- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (-٦٠٤م)، ديوانه، صنعه ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، د.ط، ١٩٦٨م، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٧١- نوري السعيد، شعراء أمويون، القسم الثالث، تحقيق ودراسة: نوري حمودي السعيد، د.ط، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق.

٧٢- أبو نواس، الحسن بن هانيء (- ١٩٨ هـ)، ديوانه، تحقيق:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احمد عبدالمجيد الغزالي، د.ط، ١٩٥٣م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧٣- ابن هشام، ابومحمد عبدالملك (- ٢١٨ هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وصحبه، د.ط، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

AL-MUBARRID, A SCHOLAR OF RHETORIC (286 A. H.)

A study

YASIR MUHAMMAD AMMAR

Under the Auspices of

DOCTOR MUHAMMAD BARAKAT ABU ALI

Al-Mubarred is one of the early scholars who dealt with rhetrorical topics, discussion and commentary. His role in establishing this branch of learning is very important. He provided all kinds mentioned with examples from Holy Quran, the prophet's (pencebe upon him) sayings, the ancient poetry as well as modern poetry of his time.

He studied simile as one seperate unit and the message of rhetoric, but when it came to other kinds of rhetoric he dealt with them through his discourse about Arabic literary heritage as a whole.

It becomes clear that Al-Mubarred was unique in his approach of study. For example, he is different from Al-Jahiz who sub ordinated his study to his own thought. And he is different from Ibn Qutayba who concentrated on marginal things and very minute details.

It is worth-mentioning, however, that Al-Mubarred rarely supports his choices and preferences with Analysis or reasoning. It is his artistic taste which stands behind his choices and preferences in matters of rhetoric, eloquence and style.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit